سياسة البابوية تجاه سلطنة المماليك بيـــن التشدد والتفريط في القرن الرابع عشر الميلادي

د/محمد دسوقي محمد حسن
أستاذ مساعد العصور الوسطى بكلية الآداب
جامعة الفيوم

عدد يناير ٢٠١٩

سياسة البابوية تجاه سلطنة المماليك
بيــن التشدد والتفريط
في القرن الرابع عشر الميلادي

د/محمد دسوقى محمد حسن
أستاذ مساعد العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة الفيوم

فى الواقع أن البابوية لم تتقبل استردادالمسلمين للأراضى المقدسة ١٢٩١م – على الرغم من أن قليلاً تقبلوا الأمر بشكل نهائى – غير أن أمالها فى إعادة الأستيلاء عليها ظلت قائمة،غير أنها محصورة فى عدد قليل من المتفائلين،فخلقت لدى المهتمين أسبابا قوية، دعتهم إلى التركيز على الجذور الخصبة لأفكار هؤلاء المتفائلين وطرقهم التى بدأت فى مجمع ليون الكنسى الثانى ١٢٧٤م Lyon II[(١)] ، واستمرت حتى غطت العقود الأخيرة من القرن الثالث عشر والعقود الأولى من القرن الرابع عشر الميلاديين، وقد أُعد ستة وعشرين مشروعًا صليبياًبين مجمعى ليون الثانى وفيين Vienne[(٢)] ١٣١١م، أى فيما بين ١٢٧٤-١٣١٤م[(٣)] مثل هذه الآراء عكست إدراكاً واسع المدى

---

(١) عن مجمع ليون الثانى راجع:- Schroeder , H.J.,(ed.) Disciolinary Decrees of the General Councils , Text , Translation and commentary , London , 1937, pp.324-364.

(٢) ڤيين، مدينة في جنوب فرنسا، علي الضفة اليسرى لنهر الرون، تبعد سبعة وعشرين كيلومترًا جنوب مدينة ليون. ووقت انعقاد مجمع ڤيين كانت منطقة ألمانية، لكنها تحت السيادة الفرنسية. ينظر:

Schroeder , Disciolinaryp.366 ; Moore , W.G.,The penguin Encyclopedia of places, New York, 1978, p.834

(٣) عن مجمع فيين الكنسى راجع:- عيدة جمعة مسعود، مجمع فيين الكنسى ١٣١١-١٢١٤،رسالة دكتوراة غير منشورة كلية الآداب جامعة دمنهور،٢٠١١م.

للحاجة إلى تفكير جذرى تجديدى حول كل وجه من وجوه التنظيم الصليبى، بداية من شكل الحملــة – إعدادهاوطريقها وقيادتها– إلى تنظيم الأراضى التى يتم الإستيلاء عليها، وحمايتها لعدم تكرار أخطاء الماضى، وقد أدت هذه الإستجابة البناءة والبصيرة تجاه أخطاء الماضى، إلى مايشبه الإتفاق على الحملة الصليبية الرئيسية التى طال الشوق إليها، وكان لابد أن يسبقها فرض الحصار على الأراضى المملوكية؛ لتحقيق هدف مزدوج هو حرمان سلطنة المماليك من واردات الحرب الأساسية، وإرهاق مواردها المالية، وهذا مادفع الباحث إلى اختيار موضوع الدراسة فجاء بعنوان" **سياسة البابوية تجاه سلطنة المماليك بين التشدد والتفريط في القرن الرابع عشر الميلادي**"، لعله يستطيع اثبات هل استطاعت البابوية تنفيذ ذلك أم لا؟.

وعليه فالملاحظ أن سياسة البابوية فى الفترة محل الدراسة – القرن الرابع عشر الميلادي– لم تنل حظها الكافى من البحث والدراسة اللهم إلا بعض الدراسات التى اقتصرت على جزئيات بعينها حول تلك السياسة(١) دون إبراز للنجاح أو الفشل لتلك السياسة، وهذا ما دفع المؤرخ الفرنسي دولافيل لارو De laville le Reulx إلى القول: بأن تلك الحقبة بشكل خاص كانت زاخرة بمشروعات القيام بحملات صليبية، فضلاً عما تجسد من هذه المشروعات فى

---

(١) أهم الدراسات العربية التى تناولت جانب من جوانب الموضوع دراسة الزميل د. محمد الزامل، الحصار الاقتصادى على مصر أواخر العصور الوسطى ١٢٩١-١٥١٧، تلك كانت أطروحتة لدرجة الماجستير والتى قام بإعدادها فى عام ٢٠٠٠م، وما من شك فى أنها دراسة جادة فى جوانبها غير أنها مست موضوع الدراسة فى فصلها الأول الذى يعد تمهيدا لها مركزة على دور القوى السياسية المختلفة دون التركيز على البابوية.
لا يتسع المقام هنا لعرض كافة الدراسات الأجنبية التى تناولت جوانب معينة خاصة بتلك السياسة، ويمكن للقارئ مراجعة قائمة البيليوجرافيا التي تم الاستعانة فيها ببعض تلك المراجع.

شكل حملات عسكرية [١]، وعلق مؤرخ آخر بقولة: أن تلك الفترة ولدت انطباعا عن التخبط والمرواغة والرياء من جانب حكام تلك الفترة؛ لذا حق القول عنها بأنها حقبة من الأزمات والارتباكات[٢]، غير أنها أفرزت مشروعات ذات طبيعة خاصةجُمعت في وثائق، ميزت عن غيرها باسم " استعادة الأراضي المقدسة De Recuperation Terrae Sanctae "، وقد كثرت الكتابات فى تلك الفترة حتى أُطلق عليها اسم " عصر المنظرين "" La Periode desTheoriciens "[٣].

تلك الكتابات التى نادى البعض من أصحابها بضرورة القضاء على دولة المماليك، إما عن طريق حرب سافرة تُجند لها الجيوش الأوروبية، وتُعبأ لها الأساطيل،أو محاربة دولة المماليك في أعظم موارد ثروتها وقوتها، وهى التجارة[٤]، ولم تعتمد هذه الدعاية على مبشرين جوالين كما كان في الماضي، وإنما اعتمدت على رجال مثقفين ألفوا كتبًا[٥]،وكتبوا تقارير شرحوا فيها وجهة نظرهم بشأن الكيفية التي يمكن بها تدمير سلطنة المماليك وإعادة بناء الكيان

---

(١) De Laville le Reulx , La France en Orient au XIV e siècle. Expeditions du MarechalBoucicaut , II Tome , Paris , 1886, Tome I , p. 11.

(٢) نورمان هوسلى، الحركة الصليبية(١٢٧٤-١٧٠٠م)، فى تاريخ أكسفورد للحروب الصليبية، تحرير جوناثان ريلى سميث، ت.وتعليق قاسم عبده قاسم،٢ج،ط١، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩،ج٢،صـ١٥٦.

(٣) Brehier , L., L'Eglise et L'Orient au MoyenAge , Paris , 1928 , p.145.

(٤) سعيد عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٦٩ – ٧٠.

(٥) كان هومبرت دي رومان Humbert de Romansأحد رهبان الملك لويس التاسعLouis IX ملك فرنسا(١٢٢٦-١٢٧٠م)، وأحد الواعظين، وأول من ألف كتيبًا للدعوة لحملة صليبية، جمع فيه الحجج القادرة على إثارة الحماس فى نفوس الصليبيين والنصائح اللازمة لهم، لكن نجاح ذلك الكتاب كان ضئيلاً. للمزيد من التفاصيل يراجع :

Humbert de Romans , Opus Tripartitum , In Brown , Appendix ad Fasciculumrerum , Expetendarun et Fugiendarum , London , 1690 , p. 196 ; Richard, J., La Papaute et les Missions d'Orient au Moyen Age XIII – XVeSiecles , Paris , 1977, p. 236.

الصليبي[١] ووضعوا نصب أعينهم مشكلات الاقتصاد المملوكي،المتعلقة بندرة السلع الحربية، والحاجة الماسة – في كثير من الأحيان – إلى بعض السلع الغذائية، واستندوا على هذا الأساس في وضع مخططات محكمة عن الحرب الاقتصادية من خلال ألوان الحصار المختلفة، هدفها الأول إضعاف سلطنة المماليك [٢].

وكان شارل الثانى دى انجوCharlesII deAnjou(١٢٨٥-١٣٠٩م) [٣]أول هؤلاء حينما قال: "إن المسلمين سيتجنبون مقاومة عملية الإنزال البحري تاركين الأمر للظروف الجوية والزمنية لإنهاك الصليبيين"، وكان يرى – والأمر كذلك – أن حربًا تجارية ضد مصر هى السبيل الأكيد والحل الأمثل للقضاء على قوة المسلمين، ذاهبًا إلى أن هذا البلد – مصر – هو المخزن الذي فيه غذاء الغرب القادم من الشرق، وهوالمكان الذي أمد أشرار المسيحييننفيهالمسلمينبالحديد والخشب، وتاجروا فيه مع المماليك فى الرقيق الذى جلبوه من سواحل البحر الأسودBlackSea[٤]، فزودوا جيش السلطان بالجنود،

---

(١) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، ثلاثة أجزاء، ط١، دار الثقافة،بيروت، ١٩٩٧، ج٣، ص ٧٢٢.

(٢) Housley , N., The Avignon Papacy and the Crusades , Oxford , 1986 , p.

(٣) أرسل شارل الثاني دانجو دراسته للبابا نيقولا الرابعNicholas IV (١٢٨٨-١٢٩٢م) إثر سقوط مدينة عكا عام ١٢٩١م، ونشرت هذه الدراسة في عام ١٩٤٢ م، نشرها براتيانو في العدد التاسع عشر من المجلة التاريخية لجنوب شرقى أوروبا تحت عنوان " استشارة الملك شارل ". ينظر :

Bratianu , le ConseilDuroi Charles , In R.H. S. E. E. , no. 19 ,1942 , pp. 291 – 91.

(٤) البحر الأسود، هو بحر بنطس، استمد هذا الاسم من الإقليم المجاور له، ويقع على بعد ثلاثين ميلاً (ستين كيلومترًا) من شمال القسطنطينية، ومنه جزء على شكل بوغاز ينحدر جنوبًا عبر مسالك ضيقة، ثم يستقيم مجراه لمسافة قدرها مائتان وثلاثون ميلاً (أربعمائة وستون كيلو مترًا) ويصب

الذين أصبحوا بعد ذلك العنصر الأقوىالذي لا يقهر ولا يغمد له سيف، وهكذا تتضح الصورة أن ما يجب القضاء عليه هو مصر، ولتدعيم خطوط الدفاع تجب الإغارة على سواحل البحر المتوسط الممتدة باستمرار(١).

ومن الآراء التى تلقاها البابا نيقولا الرابع (٢) أيضا آراء الراهب فديزيو دى بـادوا Fidenziode Padua (٣)التى وقفت جنبًا إلى جنب مع وجهات نظر شارل الثاني، غير أنه أكد على أن الفائدة التجارية التي ستعود من تواجد الأسطول

في النهاية في البحر المتوسط.

وليم الصوري، الحروب الصليبية (١٠٩٤-١١٨٤م)، أربعة أجزاء، ترجمة حسن حبشي، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١م، ج١، ص ١٥٨.

(١) Bratianu , le Conseil, pp. 305–7 ; De laville le Reulx , La France, Tome I, pp. 16 – 17.

(٢) البابا نيقولا الرابع، هو جيرالو ماسكا GiralomoMasci، كان رئيسًا لكرادلة بلاسترنا Palestrina، وكان مبعوث البابا إلى الشرق وإلى بطريك القسطنطينية، انتخب بعد مداولات استمرت أحد عشر شهرًا، وكان أول فرنسيسكاني يختار لمنصب البابا، وكان قد سكن خارج روما، وهو الذي توج شارل الثاني (الأعرج) دى أنجو ملكًا على نابولي Naples عام ١٢٨٨م، وأسس جامعتى مونبيليه Montbeliar ولشبونة Lisbona. لمزيد من التفاصيل، ينظر :

Kelly. J. N.O., The Oxford Dictionary of Popes, Oxford, 1996 , pp. 205 – 206.; Kuhner ,H., Encylopedia of the Papacy , London , 1959 , p. 98.

(٣) فدنزيو دي بادوا، هو راهب فرنسيسكاني، لا نعرف الكثير عن فترة شبابه، ولد في إيطاليا في عام ١٢٢٦م، وكان خبيرًا استراتيجيًا بشئون الشرق؛ لمعيشته فيه فترة طويلة، حيث تولى مناصب عدة مهمة داخل سلك رهبنته، كما أرسله البابا في مهام إلى الشرق، وكان شاهد عيان على سقوط الإمارات الصليبية الواحدة تلو الأخرى، وذهب بنفسه إلى السلطان الظاهر بيبرس (١٢٦٠-١٢٧٧م) للالتقاء بالأسرى لرفع روحهم المعنوية، وشغل منصب قس في الأراضي المقدسة عام ١٢٦٦م، وعاد إلى الغرب بعد سقوط عكا حيث أمضى بقية حياته، وقد وضع دراسته هذه وسلمها للبابا نيقولا الرابع، ونشرها جولوبوفيتش Golubovich ضمن الجزء الثاني من مجموعته المعروفة باسم " المكتبة البيليوجرافية للأراضي المقدسة والشرق الفرنسيسكاني "، و فدنزيو ممثل للفكر التبشيري الذي بدأه مؤسس رهبنته فرنسيس الأسيى خلال الحملة الصليبية الخامسة.

Fidenzio de Padua , Liber Recuperationis Terrae Sanctae , ed. Golubovich , G. , in B. D. T. S. O. F., V Vols., Florence , 1906 – 1927 , Vol. II , 1913 , pp. 1 – 2.

بالقرب من الموانئ المملوكية تأكيده أن منع الواردات الأوروبية عن موانىء الشام لن يحرم السلطان من رسوم دخول البضائع إلى مصر- التي تقدر بنحو خمسين ألف فلورين Florin[١] في العام -فقط، بل سيمنع أيضًا وصول الإمدادات الغذائية التي يحتاجها المسلمون إليهم، مما لا تزودهم به بلادهم، وسيسبب هذا للسلطان المملوكى خسارة كبيرة، وحينها لن تجد البضائع المصرية منفذًا للتصريف، فتكون نهاية مصر [٢].

ويرى المؤرخ دولا فيل لارو أن ظهور مثل هذه الأفكار الاقتصادية في مشاريع الحملات الصليبية في الأعوام الأخيرة من القرن الثالث عشر الميلادي، أمر جديد أدرك الغرب الأوروبي قوته وأراداستغلاله، وكان فدنزيوأول من ترجم هذا الشعور بإعلانه الحصار التجاري على مصر[٣]، ويخالف الباحث المؤرخ الفرنسي دولافيل لارو فى هذا؛ لأن هذا الحصار التجاري الذى نادى به فدنزيو

---

(١) الفلورين، عملة أصدرتها مدينة فلورنسا، وضربت فيها ذهبًا لأول مرة في القرن الحادي عشر، ثم ضربت من فضة عام ١١٨١م، وعرفت باسم الفلورين الذهبىFlorinod'ore وكان وزنه ٣.٥٣جم من الذهب الخالص، وفي عام ١٣٤٣م كان الفلورين الذهبى يساوي في مملكة إنجلترا ستة شلنات، أما الفلورين الفضى الحالي المستعمل الآن في بعض البلاد الأوروبية فضرب لأول مرة في عام ١٨٤٩م،وقيمته تعادل شلنين بالعملة الإنجليزية. ينظر:

بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة وتعليق عزار حداد، تقديم عباس حداد، بغداد، ١٩٤٥م،ص٨٠، حاشية (٢).

Grierson, p. &Travaini, L., Medieval European Coinage , Cambridge , 1998 , pp. 461 –462.

وقال عنها الدكتور عبد المنعم ماجد إنها عملة فرنسا والأراضي المنخفضة، ويسميها العرب " أفرنتية "، جمع "أفرنتي"، وعرفت في العصور الوسطى في المشرق عمومًا باسم " مشخصة "؛ بسبب صور القديسين وملوك الفرنجة المنقوشة على وجهيها.ينظر: عبد المنعم ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، ١٩٦٦، ص ٢٢٥ – ٢٢٦.

(٢) Fidenzio de Padua , Liber Recuperationis, pp. 41 – 6; De laville Le Reulx ,La France, Tome I, pp. 20 – 21.

(٣) De laville Le Reulx , La France, Tome I, pp. 21.

سبقت الدعوة إليه في عهد الإمبراطور البيزنطي يوحنا تزيمسكس JohnTzimisces (٩٦٩ – ٩٧٦م)، الذى أرسل في يوليو ٩٧١م، وفدًا للبندقية للاحتجاج على التجارة التي تقوم بها سفن البندقية مع المسلمين، وهدد الوفد بإحراق هذه السفن وما عليها من بضائع، فاضطر البنادقة إلى عدم بيع السلع المحظورة إلى المسلمين، وهناك أيضا هيثوم الأول Hethoum I ملك أرمينيا الصغرى (١٢٢٦-١٢٧٠م)، الذى أصدر فى عام ١٢٦٠م، أوامر مشددة تقضى بمنع الاتجار مع المماليك، وعدم تزويد سفنهم باحتياجاتها من البضائع(١).

ووسط هذا التيار جذب انتباه الغرب الأوروبي الفيلسوف ريموند لول RemondLull(٢)، الذى تعددت أفكاره، فلم تقتصر علي تشجيع دراسة اللغات

---

(١) Mas Latrie, Historie de L'ile de Chypre Sous Leregne des Princes de La Maison, de Luslgnan, III Vols., Paris, 1855- 1861, Vol. I, p.412;

عمر كمال توفيق، مقدمات العدوان الصليبى "الإمبراطور يوحنا تزيمسكس وسياسته الشرقية ٩٦٩ – ٩٧٦م"، الإسكندرية، ١٩٦٦، ص٢١- ٢٢؛ سعيد عاشور، كيف قاومت مصر الحصار الاقتصادى زمن الحروب الصليبية، بحث منشور فى مجلة الدراسات الإسلامية، العدد الثانى، أكتوبر ١٩٦٩، ص١٢٧- ١٢٨.

(٢)إنه نبيل إسباني ولد في عام ١٢٣٢م، فى جزيرة ميورقة، إحدى جزر البليار، تقع إلى الغرب من جزيرة سردينيا، وكان والده رامون لولل الكبير في عداد الجيش الأراجوني الغازي تاركًا مسقط رأسه برشلونة ليستقر في تلك المدينة، وكان سبب هذا اهتمامة بالقضايا الصليبية، أنه بينما كان في إحدى الليالي يكتب قصيدة غرامية لإحدى صديقاته، التفت عن يمينه فرأى هيئة السيد المسيح معلقة على الصليب، ففزع، وهرع إلى فراشه ينشد الأمان، وفي اليوم التالي شك في الرؤية وأبعدها عن خاطره، ولكنها تكررت عندما كان ينظم الشعر أيضًا، وعندما رآها للمرةالثالثة اعتقد أن المسيح أراد له أن يهجر حياته تلك ويتفرغ لخدمته، وبعد صراع مع نفسه أعلن التوبة ونذر نفسه لخدمة المسيحية.ينظر : -

Allison , E.P., Ramon Lull, A Biography , London , 1928 , 1-15 ; Hillgarth ,J.N., Ramon Lull and Lullism in Fourteenth Century France , Oxford , 1971 , p. 3.

الشرقية، بل كانت أهم مبادئه الفكرية توحيد الطوائف الدينية الثلاث: الداوية والإسبتارية والتيوتون فى كيان واحد، بعد أن تسبب انقسامهم في القضاء علي الكيان الصليبي في بلاد الشام (١)، وهو وإن لم يكن رائداً في هذا الاتجاه الذي تبعه فيه كثيرون؛ فقد كان له شرف إلحاقه بإجمالي مشروعاته(٢)، كما كان من أوائل من نادوا بضرورة غزو مصر، والتحريم المطلق للتبادل التجاري بينها وبين الغرب(٣).

مع حلم ريموند لول بغزو الأراضي المقدسة من خلال التنمية الحضارية الأوروبية في الشرق، ظهرت أفكار مشابهةلآخرين، مثل هيثوم Haythom الأرميني(٤)، الذى يرى أن منبع قوة سلطنة المماليك تكمن في الاستقرار

---

(١) Madre, A., RaimundiLulli Opera Latina, Turnholt 1981, Trans. & ed. Housley, N., ed. and Trans.,Documents on the Later Crusades 1274-1580 , London , 1996, pp.36-37; Gottron , A.,(ed.) Ramon Lulls Kreuzzugsideen , Berlin , 1912 ,p.32.

(٢) Delaville le Reulx, La France,Tome I , p.30.

(٣) Gottron , A., Ramon Lulls, p.32-33.

(٤) هيثوم:هو أحد المختصين بشئون الشرق، وينتمي إلى أسرة لامبرون Lampron، وكان كونتًا لمقاطعة جوريجوس Gorigos - الواقعة على الشاطئ الجنوبي لآسيا الصغرى بإزاء جزيرة قبرص - وكان عمه ملكًا على مملكة أرمينيا، وقد اشترك في الصراع المملوكي الأرميني، ثم رحل إلى مملكة قبرص عام ١٣٠٥ أو ١٣٠٦م، ثم رحل منها إلى فرنسا، وهناك التقى بالبابا كليمنت الخامسClementV (١٣٠٥-١٣١٤م) في أفينيون Avignon ١٣٠٦م، فاستقبله بترحاب شديد وكلفه بكتابة مذكراته عن شعوب الشرق، وارتدا مسوح الرهبان في عام ١٣٠٧م، وهو العام الذي أتم فيه كتابهالذي أملاه على شخص يدعى نيقولا فالكون NicoleFalcon - ترجمه إلى اللاتينية - وقدماه إلى البابا في عام ١٣٠٧م، وعُرف هيثوم منذ رحيله إلى الغرب باسمهيتونوس موناخوس HagtonusMonaches، وتوفى في عام ١٣٠٨م. ينظر: -

Hayton , FlosHistoriarum Terre Orientis, dans R.H.C., Tome II , H.Doc- Arm., Paris , 1906 , Tome II, p. 352 ;Atiya, A.S.,The Crusade in The Later Middle Ages, London,1938., pp.62 –4;

حسين عطية، سفارات الأرمن إلى المغول وأثرها على العلاقات الأوروبية المغولية، بحث منشور ضمن كتاب دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص ٢٥٩.

السياسي، وقوة السلطان ونفوذه، وتوقف الحروب الخارجية، والاستقرار الاقتصادي المتمثل في وفرة الغلال والمحاصيل في مصر والشام، واستتباب الأمن على الطرق التجارية التي تصب في السلطنة، خاصة الطرق البحرية عبر البحر المتوسط، وفي ضوء ما سبق وضع هيثوم ممشروعه الصليبى – تحت عنوان " زهرة تاريخ بلاد الشرق""FlosHistoriarum Terre Orientis "(١) – للقضاء على سلطنة المماليك، الذى يتلخص في حرمانهم من السلع الغذائية والحربية، كالأخشاب والحديد والقار والرقيق، التي تصل إليهم عبر البحر المتوسط (٢).

وكما طلب البابا كليمنت الخامس(٣)من هيثوم الأرميني إعداد مذكرة، طلب من مقدم الداوية ومقدم الإسبتارية القدوم إلى بواتيه، وعند وصولهما طلب منهما االمشورة حول الوضع في الشرق، فما لبث جاك دي مولاي

---

(١) نشر هذا الكتاب في الجزء الثاني من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية، وهو مقسم إلى أربعة أقسام، تناول الأول أحوال بلاد الشرق منذ ميلاد المسيح عليه السلام حتى عام ١٣٠٥م، وتناول القسم الثاني أهداف غزو الأراضي المقدسة في بلاد الشام، أما الثالث : فأفردلتاريخ التتار وضرورة الاستعانة بهم، والرابع : اشتمل على المشروع الصليبي والخطة اللازمة لإعداد الحملة المقترحة. ينظر :

Atiya , The Crusade, p. 63 ; Leopold , A. I , How to Recover the Holy land , The Crusade Proposals of the Late Thirteen and early fourteenth centuries , Burlington , 2000 , p. 30 .

(٢) Hayton , FlosHistoriarum , p 352 – 354.

(٣) كليمنت الخامس هو ريموند برتراند دي جوث Raymond Bertrand de Goth، ولد في مدينة بيلندريو Billandreau التابعة لمقاطعة جاسكونيGascony، وعين رئيساً لأساقفة بوردو Bordeaux في عام ١٢٩٩م، وقداختير لعرش البابوية بعد أحد عشر شهراً من وفاة بندكت الحادي عشر BendecitXI (١٣٠٣-١٣٠٤م)، وعند اختياره لم يبرح فرنسا، واتخذ من مدينة أڤينيون مقرًا للحبر الأعظم، وبدأت فترة جديدة من عمر البابوية، وتوفى في العشرين من أبريل ١٣١٤م. ينظر: Kelly,The Oxford, pp.212-214 ; Kuhner,Encylopedia , pp.103-104.

JacquesdeMolay مقدم الداوية (١٢٩٨-١٣١٤م)[١] أن قدم مذكرة يؤيد فيها إرسال أسطول من عشر سفن إلى قبرص، تحت إمرة أحد كبار القادة؛ للسيطرة على البحر، والتصدى للتجار المسيحيين الذين لا يتورعون عن التجارة مع المسلمين وتزويدهم بالأسلحة والأخشاب التي يحتاجونها، قائلاً إن مهمة قيادة هذا الأسطول لا يمكن إسنادها إلى قادة المجموعات العسكرية [٢].

أما رأي ملك قبرص هنري الثاني HenryII (١٢٨٦-١٣٢٤م) [٣]، فهو رأي رجل الحرب؛ فمع أصحاب المشاريع الصليبية اتضح كيف يمكن التحضير

---

(١) جاك دي مولاي: من أسرة سادت Longwyet de Raon الواقعتين في دوقية برجنديا، اسما والده ووالدته مجهولان وقد حصل على لقب فارس في هيئة فرسان الداوية في BeauneمنImbertPeraudo، وتنقل بين القصر الملكي في باريس وبواتو، وبسرعة فائقة انغمس في حروب الشرق، وظهر هناك باعتباره الساعد الأيمن لوليم دي بوجيه GuillaumedeBeauje مقدم الداوية (١٢٧٣-١٢٩١م)، وبعد فترة قصيرة بلغه - وهو في فرنسا في إجازةفي عام ١٢٩٨م - نبأ اختياره رئيسًا لهيئة الفرسان الداوية، واشتهر في البلاط الملكي الفرنسي،حيث نال الشرف الرفيع بأن يكون والد أحد أبناء الملك الفرنسي فيليب الرابع الجميل في العماد، وكان واحدًا من أربعة من كبار السادة الذين حملوا التابوت فى أثناء جنازة الأميرة كاترين Catherineزوجة فيليب كونت فالوا**Philip Count Valois**،وريثة إمبراطورية الشرق. ينظر:

Mollat , G.,(ed.),Archives Biographiques Francaises, pp. 287 – 291.

(٢) Baluzius , S. , Vitae paparumAvenionensium, Hoc EstHistoriapontificum, Romanorum qui in Gallia SederuntAb Anno Christi MCCCV U sque ad Annum MCCCIV,ed. Mollat.G., IV Tomes ,Paris ,1921, p.180; Atiya , The Crusade , pp. 55 – 6.

(٤) هنري الثاني، هو ابن هيو الثالث **Hugh III**ملك قبرص (١٢٦٧-١٢٨٤م)، تولى عرش المملكة عام ١٢٨٥م بعد وفاة أخيه حنا (١٢٨٤-١٢٨٥م)، وكذلك صارت إليه مملكة بيت المقدس عام ١٢٨٦م، وشهد نهاية الوجود الصليبي في بلاد الشام، وعاصر من سلاطين المماليك قلاوون وخليل (١٢٩٠-١٢٩٣م) والناصر محمد، وبلغت مدة حكمه أربعين عامًا، وفى أثناء هذه الفترة كان إخوته يتناوبون الحكم على فترات متقطعة. للمزيد يراجع :

سعيد عاشور، قبرص والحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٤٥٠؛ د. ق. سبيريد أكسيس، موجز تاريخ قبرص، ترجمة يعقوب كامل الطليحي، يني ذياكوفوتاكيسي، الإسكندرية، ١٩٧١، صـ١٠٧.

لحملة صليبية، فقام هنرى بشرح كيفية قيادتها في المذكرة التي قدمها سفراؤه للبابا في مجمع فيين، وجاء رأيه مؤيدًا لآرأء سابقيه في تجهيز أسطول من خمس عشرة سفينة قوية، يكون في مقدمة الحملة الأساسية، ليمنع المسيحيين المزيفين – الذين لا يكفون عن تقديم خيرة الجنود(١) وأفضل الأخشاب والحديد والحيوانات والأسلحة للمسلمين – من الاستمرار في تلك التجارة الدنسة (٢)، غير أن أهمية هذا التقرير تكمن في أنه أكد مبدأ الحصار الاقتصادي على مصر والشام سلاحًا قاطعًا يسلطه الغرب على رقاب سلاطين المماليك، كما أنه أدرك عدم جدوى ذلك الحصار إذا ما طبقته الجمهوريات الإيطالية؛ لما لها من مصالح اقتصادية كبرى

(١) كان الرقيق الأبيض (المماليك) من أهم السلع الحربية التي زود بها الجنوية سلطنة المماليك من خلال الطريق البحري الذي ربط مصر بشبه جزيرة القرم Crimea عبر مضيق البسفور. ينظر : ليلى عبد الجواد إسماعيل، علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك البحرية ٦٥٩-٧٨٤هـ/١٢٦١-١٢٨٣م، مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة، العدد (٤٦) عام ١٩٨٦م، ص ٦٠ – ٦١.

(٢) كانت البابوية قد حرمت ـ بالإضافة إلى السلع الحربية ـ كل ما يتعلق بها من المعادن التي يمكن استخدامها في تصنيع الأسلحة، كالرصاص والقصدير وغيرها، ومستلزمات الأسطول، كالحبال والقلوع والقار، وكذلك القنب والكتان وبذروهما، ومستلزمات تجهيز الخيول من جلود وسروج، كما حذرت المراسيم من التعاون العسكري مع سلطنة المماليك بتقديم الخبرة أو العمالة المدربة في مجال تشييد السفن الحربية، ولاشك فى أن البابوية احتفظت لنفسها بحق إضافة أية سلعة حربية جديدة ترى أنها تسهم في دعم قدرات المماليك الحربية؛ فعلى سبيل المثال لم يكن الرقيق ضمن قائمة السلع الحربية المحرمة، وعندما أدركت البابوية ـ في مطلع القرن الرابع عشر ـ طبيعة النظام المملوكي القائم على أساس الرقيق بصفة خاصة، ـ بفضل المعلومات التي تلقتها من أصحاب المشروعات الصليبية والتي ألقت الأضواء على الأهمية السياسية والعسكرية للرقيق في دعم الكيان المملوكي ـ سارعت إلى تحريمتجارة الرقيق، وعدته سلعة حربية، وكانت البابوية قد أضافت السلع الغذائية إلى قائمة السلع المحظور المتاجرة بها مع سلطنة المماليك لمدة عشر سنوات. للمزيد عن القرارات البابوية الخاصة بهذا الشأن ينظر : Reg. Nic. IV , no. 2199 , p 38, 4402 – 4403 , p. 641 , nos. 6784 – 6788 , p. 901 ;Reg , Bon. VIII , Tome II , no. 2397 , p. 8 , Tome III , no. 5016 , p. 653 ;Reg. Cle. V., Tome II , no. 2986 , pp. 152 – 153 , nos. 2994 – 2995 , p. 166 ;Reg , Ben. XI , no. 86 , p. 84 , no. 1101 , p. 660 ;Reynaldi , op.cit., Tome XXIII , Ann.1308, no. 36 , p. 424.

مع مصر بالذات، وأسباب أخرى تجعل من الصعب الاطمئنان إلى تلك الجمهوريات في تنفيذ الحرب الاقتصادية (١)، والواضح أن ملوك قبرص قد تحمسوا لتنفيذ الحظر حماسة لا تخفي ما تتضمنه من أغراض نفعية، لأنه إذا ما أحدقت الصعاب والمخاطر بالتجارة مع مصر والشام،فسيضطر التجار المسيحيون للبحث عن سوق أخرى مناسبة، ولا أنسب من قبرص "آخر بلد مسيحي" متاح لهم بطبيعة الحال(٢)، ولهذا كانت أولى نقاط مشروع الملك هنري الثاني ملك قبرص، العمل على إضعاف سلطنة المماليك اقتصاديًا، بضرب حصار بحري على مصر والشام لسنتين أو ثلاث، بشرط أن يكون الأسطول الصليبي المكلف بالحصار مستقلاً تمام الاستقلال عن الجمهوريات الإيطالية التجارية التي تشكك هنري في إخلاصها للغزو الصليبي(٣)، ومما يؤكد هذا عنده رفض البندقية لمشروعه (٤).

وفي عام١٣١٢م،ظهر تقرير آخر تبنى مؤلفه وليم ديورانت Guillaume Durant(٥) الاتجاه ذاته، وقد كتب ديورانت مذكرته نزولاً على رغبة الملك

---

(١) سعيد عاشور،الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد الإسلامى،٢جزء،الأنجلو المصرية، ط٦،القاهرة،١٩٩٦ ، جـ٢، ص ٩٥٢.

(٢) هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطي، ٤أجزاء، ترجمة أحمد رضا، مراجعة عز الدين فوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٩١-١٩٩٤م ، جـ٢، ص ٢٣٠.

(٣) Atiya , The Crusade , pp. 58 – 60.

(٤) عفاف سيد صبره، العلاقات بين الشرق والغرب علاقة البندقية بمصر وبلاد الشام فيالفترة من ١١٠٠-١٤٠٠م، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٦١.

(٥)وليم ديورانت : هو أسقف مدينة ميند Mende (١٢٩٦-١٣٢٨م) الواقعة جنوبى شرقى فرنسا، وهو يحمل الاسم نفسه الذي حمله عمه أسقف ميند (١٢٨٦-١٢٩٦م) من قبل. تمتع وليم بثقة ملك فرنسا، ونشط في العمل بمؤسسات ذلك الملك، في بداية فترة بابوية أفينيون، وكان ضمن الفريق المختار للتحقيق مع فرسان الداوية في أغسطس ١٣٠٨م؛ وعليه أصبح عضوًا في اللجنة المكلفة بفحص ممتلكات الداوية تبعًا لرغبة الملك الفرنسي، والتي بدأت عملها في الثامن من أغسطس

الفرنسي(١)، عندما دعى لاجتماع الأساقفة والبارونات في باريس، فى يناير ١٣١٣م؛ لبحث مشروع حملة صليبية جديدة(٢)، وقد اشتملت مذكرة وليم(٣)- التي جاءت تحت عنوان De Mode CelebrandiConciliiGeneralis-

عام ١٣٠٩م، واختتمته في الخامس من يونيومن عام ١٣١١م، وقد توفى وليم في جزيرة قبرص في يوليو ١٣٣٠م، ودفن في كنيسة القديسة ماري في مدينة نيقوسيا Nicosia.ينظر:-

Atiya , The Crusade , p. 68 , 71.

(١) نشب خلاف كبير بين ملك فرنسا فيليب الرابع وأسلاف وليم ديورانت، الذين كانوا يتمسكون بمعاهدة قديمة يكون لهم بمقتضاها الحق التام فى جيوفادن Gevaudanمع بعض الاستثناءات، بينما كان الملك الفرنسي يؤكد على أن له الحق ذاته على كنيسة ميند، غير أن وليم والملك توصلا إلى اتفاق جعلهما يطمحان إلى الصلح يسمح لهما بممارسة الولاية القضائية سويًا في فبراير ١٣٠٧م، ينظر:

Mollat ,(ed.),Archives , p. 1171; Mollat, G.,, Les papesd'Avignon 1305-1378 , Paris , 1982.

(٢) دعا ملك فرنسا وليم لهذا الاجتماع في الثلاثين من ديسمبر ١٣١٢م، ومن المحتمل أن يكون قد قدم مشروعه في مذكرة بهذه المناسبة، ومن مذكرة وليم هذه نسخ عدة نشرت في ليون عامى ١٥٣١م و ١٥٣٤م، وفي باريس أعوام ١٥٤٥م و ١٥٦١م و ١٦٧١م، وقد قدم فيوليه P.Viollet تحليلاً طويلاً لها في عام ١٩٢١م، ينظر :

Atiya , The Crusade, pp. 69 – 70 ; Mollat. G., ,Archives, pp1172-1173.

(٣) لم تقتصر مؤلفات وليم ديورانت على هذا المشروع بل له أعمال عدة أخرى، أهمها : " تقارير عن المهمة التي تمت في إيطاليا عام ١٣٠٥ – ١٣٠٦م " "Rapports sur La mission accomplie en Italie en 1305 et 1306التي نشرها جولرE.Goller في برلين عام ١٩٠١م، وتحقيق لتطويب "Thomas de Canteloup"EnquetePreparatoire a la Canonisation de Canteloup أسقف هيرفوردHereford، الذي انتهى فيه في ديسمبر ١٣٠٧م، وملاحق لتعلميات ودساتير عمه وليم ديورانت (المضارب) والتى ترجع تقريبًا إلى عام ١٣٠٩م، وقد نشرها برثل فالمارىBertheleValmary وهى محفوظة في أرشيف L'Herault وترجع إلى عام ١٩٠٠م، وهناك مذكرة بعنوان Un DirecctoriumChori كتبت بعد عام ١٢٩٧م، وقبل تطويب القديس توما الأكويني ١٣٢٣م، ومنها نسخة بخط اليد في مكتبة ميند تحمل رقم (٢). بالإضافة إلى رسائل عدة تحمل عنوانDiversesLettresSignalees نشرها P.Viollet، وهناك مذكرة متعلقة باتفاق عام ١٣٠٧منسبها Poree , M. ch إلى وليم ديورانت، غير أن مولاتG. Mollat يرى أنها من عمل القانوني بيير دوبوا. للمزيد يراجع : , Mollat Archives, pp. 1172 – 1173.

على ست وعشرين نصيحة لتجهيز حملة صليبية ناجحة، وجاءت جميعها ملائمة لمخططات البابوية، وفيها أكد على حظر البابوية للتجارة مع المسلمين، وفرض حصار بحري على مصر؛ للقضاء على ثرواتها، وإضعافها قبل توجيه ضربة قاسمة لها(١).

غير أن البابا يوحنا الثانى والعشرينJohnXXII (١٣١٦-١٣٣٤م)(٢)، أراد أن يستشير بعض المقربين له من ذوى الدراية بأمور الشرق، وكان في مقدمة من استشارهم مقدم الإسبتارية ذو السطوه والنفوذ هيليون دي فيلنيف Helion de Villeneuve(١٣١٩-١٣٤٦م) (٣) الذى ما لبث أن حث الأمم المسيحية على قطع العلاقات التجارية كلها مع مصر، وعزلها بأسطول حراسة،بالإضافة إلى منع أي نوع من التبادل التجاري عبر البحر المتوسط، وبهذا تتحول تجارة الهند عن طريق البحر الأحمر إلى الطريق المار بمملكة أرمينيا

---

(١) Atiya , The Crusade , p. 69.

(٢)عُرِفَ البابا يوحنا الثاني والعشرون منذ صغره باسم جاك ديوز Jacques Deuse ، وقد كان أبوه كابولير أف كاهورس Cobbler of Cahors إسكافيًا، ولد جاك عام ١٢٤٩م،و عمّد في كنيسة القديس بارثليمي St.Barthelemy بدأ تعليمه على الأسس الدومينيكانية في مسقط رأسه مدينة كاهورس، ودرس اللاهوت والقانون في مدينتي مونبليه Montpellierوباريس، ثم درس القانون الكنسي والمدني في تولوز Toulouse ومدينة كاهورس، وتدرج في المناصب الدينية حتى صار رئيسًا لكهنة القديس أندري دي كاهورس St. Andre de Cahors، ثم كاهنًا قانونيًا في دير القديس فرونت بيريجويه St. Front de Perigueux وألبي Albi، ثم رئيسًا لكهنة سارلات Sarlat وعميدًا لبوي Puy .راجع:-
Kelly, The Oxford, pp. 214 – 215 ;Kuhner , Encylopedia, pp. 104 – 105.

(٣) هيليون دى فيلنيف، ينسب إلى أسرة مشهورة وقوية في مقاطعة بروفانس Provance، كان والده جيراد الثاني فيلنيف Geraud II de Villeneuve يحمل لقب بارون، وعُين هليون في العشرين من نوفمبر عام ١٣١٤م رئيسًا لشعبة بروفانس، وظل في هذا المنصب حتى اختير مقدمًا لهيئة فرسان الإسبتارية في رودس في الثامن عشر من يونيو ١٣١٩م، وعن شخصية هيليون وأوضاع الإسبتارية في تلك الفقرة. يراجع:
Delaville le Reulx , Les HospitaliersARhodes , Jusqura La Mort de philibert de Naillac , 1310-1421 , Paris , 1913, pp. 51 – 52 ;
سامي سلطان ، الاسبتارية في رودس، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٣م، ص ١٢٧-١٣٤.

الصغرىArmenia[١]، ومن خلالهتنتقل التجارة عبر البحر المتوسط إلى قارة أوروبا[٢]والواضح أن آراء هيليون كانت عميقة التأثير تجاريًا وسياسيا، على الرغم من أن أفكاره صادفناها مرات من قبل.

وإلى جانب مقدم الإسبتارية عرض آخر مشروعه، وهو جارسيا دي إيرب Garciasde Ayerbe (١٣١٩-١٣٣٢م) أسقف مدينة ليون، وفيه دعا اتحاد القوى الأوروبية المسيحية إلى منع تصدير أية سلعة إلى الشرق، وتكوين قوة بحرية عسكرية وإرسالها عبر البحـر إلى آسيا الصغرى [٣]، فى الوقت الذى كان سانودو قد شرع في كتابة المسودة الأولى للقسم الأول من كتابه في مارس عام ١٣٠٦م، وبعد أتمامها [٤]، أهداها للبابا، وكانت تحتوى على معالجةمحكمة دقيقة للوسائل التي يمكن بواسطتها إضعاف الاقتصاد المملوكي[٥]، وعلى الرغم

---

(١) أرمينيا الصغرى، قامت هذه المملكة في إقليم قليقية، في القسم الجنوبى الشرقي من آسيا الصغرى بين جبال طوروس Tourus والبحر المتوسط، وامتدت حتى حدود إمارة أنطاكية Antioch، وكان أهلها خليطًا من سكان آسيا الصغرى المسيحيين، وبخاصة الأرمن، الذين فروا إلى تلك المنطقة الجبلية محتمين بها من خطر السلاجقة. ينظر :

Sirarpie Der Nersessian , The Kingdom of Glician Armenia , in Setton , Vol II , pp. 630-632.

(٢) De Laville Le Reulx , La France , Tome I , pp. 80 – 81 ; les Hosp. a Rhodes , p. 81.

(٣) De Laville Le Reulx , la France , Tome I , pp. 81 – 82.

(٤) كتب مارنيو سانودو كتابه الثانى فيما بين ١٣٠٨ م، وديسمبر ١٣١٢م، وقدمه للبابا يوحنا الثانى والعشرين فى الرابع والعشرين من سبتمبر عام ١٣٢١م، ينظر:

Laiou, A., Marino SanudoTorsello, Byzantium and The Turks: The Back Ground to the Anti- Turkish League of 1332 – 1334, Speculum, Vol. 45, No. 3 Jul. 1970, p.375 not. (3).

(٥) مارينو سانودو، كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة والحفاظ عليها، اعداد ومراجعة بلليغرينور ونكاليه وسمير الخادم، نقله إلي العربية الأب سليم رزق الله، مؤسسة دار الريحاني ،ط١ ، القاهرة، ١٩٩١م، ص ١٢١ – ١٢٢؛ Atiya , The Crusade, pp. 114

من النفوذ الذي تمتع به أصحاب المشاريع الصليبية في بداية القرن الرابع عشر الميلادي، إلا أنهم لم يستطيعوا إقناع الغرب الأوروبي بآرائهم، ومع هذا وفي النصف الثاني من العقد الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي ظهر مشروع آخر جديد،لرجل دومنيكاني هو وليم آدم Guillelmus Adam – عرف بلقب الدومنيكاني المبشر– وفي مشروعه هذا اجتمعت دقة التفاصيل والتجربة العملية، مع وجهات نظر شخصية متباينة بخصوص هذا الأمر(١)، فرأى أنه فى الوقت الذى يفرض فيه الأسطول المسيحى الحصار علي الممتلكات الإسلامية في البحر المتوسط، يتجول أسطول آخر ينشأ في أحدموانىء المحيط الهندي عند مدخل خليج عدن Aden Gulf(٢)وخليج فارس Persian Gulf(٣)،ليحول بين مصر والقوافل التجارية القادمة من الهند(٤).

ونتيجة لذلك أصدر البابا نيقولا الرابع مرسومًا قصد به فرض الحطر التجاري الشامل على سلطنة المماليك(٥)، وحذر مرسوم البابا التابعين للبابوية من إمداد

– 127.

سعيد عاشور، الحركة، ج٢، ص ٩٤٧- ٩٤٨؛ عفاف سيد صبره، العلاقات ، ص ٦٣، ٦٤.

(١) De Laville le Reulx , Le France , Tome I , p. 70.

(٢) خليج عدن، يقع جنوب جمهورية اليمن ويمتد لمسافة ألف كيلو متر من مدخل مضيق باب المندب إلي إقليم ظفار التابع لسلطنة عمان. ينظر : محمد متولى ومحمود أبو العلا، جغرافية شبة جزيرة العرب (جغرافيا اليمن الشمالي)، الجزء الثالث، مكتبة الأنجلو المصرية،ط٣، القاهرة، ١٩٨٨م، صـ١.

(٣) خليج فارس، هو خليج واسع لكنه ضحل، عبارة عن ذراع من الخليج العربي بين إيران (فارس) وشبه الجزيرة العربية، يربط بين الخليج العربي من ناحية ومضيق هرمز StraitofHormuz وخليج عمان من ناحية أخري ومساحته مائتان وثلاثة وثلاثون كيلو مترًا مربعًا. ينظر : Moore , W.G., The Penguin , p. 609.

(٤) Kohler , CH., Guillelmus Adam , De Mode SarracenosExtipandi , in R.H.C. Arm., Tome II , Paris , 1906 , pp. , CLIXIV-CLIXV.

(٥) Les Registres de Niclas IV, Recueil des Bulles de ce papa publieeOu analyses dapres les ManuscritsGrignaux des Archives du Vatican, ed. By

أي بلد تابع لسلطنة المماليك[١] بأي نوع من معدات الحرب مثل الأسلحة والخيول والحديد[٢]، ثم أضاف البابا نيقولا بنودًا حرمت المتاجرة في السلع الغذائية تلك البنود التي جددت من قبل البابا بونيفاس الثامن BonifaceVIII(١٢٩٤-١٣٠٣م)[٣]لعشر سنوات أخرى ١٢٩٩م، واقتفى أثرهما في ذلك بعض البابوات اللاحقين[٤] منهم البابا بندكت الحادي عشر[١]،

M. Ernest Langlois, BEFAR, 2serie, paris, 1886, nos. 6784-6788, p. 901.

(١) العبارات التي استخدمت في غالبية المراسيم البابوية كانت شبه واحدة ومتكررة، فجاءت أحيانًا على أنها "الإسكندرية، والمناطق الأخرى للمسلمين في بلاد مصر أو الأراضي الخاضعة لسلطان بابليون ومصر، وأخرى "الإسكندرية، وبلاد مصر، وبلاد بالشام، والبلاد الخاضعة لسلطان بابليون" أو "الاسكندرية، مناطق المسلمين المحظورة". راجع: -Reg. Nic. IV,nos. 6784-6789,p. 901, RegestumClementispapae V ex VaticanisArchetypis. Cvraet studio MonachorumOrdinis S. Benedicti. 8 Tomes, Rome, 1884-1892, Tome,2,no. 2994, p.166, nos. 7118,7119, pp. 241-242, Tome 4, no. 7631, p.5.

(٢) سعيد عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ط١، القاهرة،١٩٦٠، ص.٢٤٩؛
محمود عمران،المغول والأوروبيون والصليبيون وقضية القدس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٥م،ص ١٦٩-١٧٠.

(٣) بونيفاس الثامن : هو بنديتو كيتاني BenendettoCaetani، ولد في مدينة أناجني Anagni بين عامي ١٢٢٠-١٢٣٠م، وكان ابنًا لأخت البابا ألكسندر الرابع Alexander IV (١٢٥٤-١٢٦١م)، وكان من اليساريين، وفي عام ١٢٦٣م، رافق الكاردينال سيمون أف بريا Simon of Brie للوعظ ضد الجبلينين لصالح صليبية شارل دانجو الأول، وزار فرنسا في عام ١٢٩٠م كمبعوث بابوي، فأصبح منذ ذلك الحين معروفًا في فرنسا وغير محبوب فيها ـ وكان ذا شأن في عهد بابوية نيقولا الرابع؛ لذلك عندما اعتلى البابوية، كانت هذه الشخصية سببًا فى أن يدخل في صراعات عدة مع ملكي فرنسا وإنجلترا. راجع:-

Kelly,The Oxford, pp. 208-210; Kuhner,Encylopedia pp. 99 – 102; C. M. H., Vol.VII, p.311; Boase, T. S. R., Boniface VIII , London , 1933.pp.1- 10.

(٤) Les Registres des Benoit XI, Recueil des Bulles de cepapepubleesouanalyseeedapres les Manus critsOriginaux des Archives

والبابا كليمنت الخامس، وكان إصرار البابا بونيفاس الثامن بين سنتي ١٣٠٠-١٣٠٣م على منع الاتجار مع سلطنة المماليك بإصداره مراسيم اعتبرت أن كافة البضائع والسلع التي يعود بها التجار الأوروبيون من الإسكندرية تدخل في إطار التحريم(٢)، ورغم أن خليفته البابا بندكت الحادي عشر صرح في سنة ١٣٠٤م لتجار بيزا Pisaوجنوا Genoa بالاتجار مع المسلمين في السلع التقليدية، إلا أنه اشترط على تجار المدينتين ألا يسري هذا الامتياز على سلطنة المماليك(٣)، وذهب البابا كليمنت الخامس في ١٣٠٦م إلى أبعد من ذلك، فقد حرم مجرد الابحار إلى الأراضي المملوكية(٤)، كما حرم أي شكل من أشكال التعامل

---

du Vatican,ed,bych.Grand jean, BEFAR, 2.Serie, paris, 1905, no. 1101,p.660, Reynaldus, Annales Ecclesiastic, Denuo et Accurate Excusi, XXVII Tomes, paris, 1880, ann. 1308. Tome, XXIII, no.36.p.424.

طالب البابوات المدن التجارية بأن تدرج قرارات تحريم التجارة مع سلطنة المماليك ضمن قوانينها المدينة لضمان الالتزام بهما، كما حرصوا على نشر العديد من تلك المراسيم بين الناس، وذلك بتعليقها على أبواب الكنائس ومداخلها في أيام الآحاد والأعياد. راجع: Reg.Nic. IV, nos. 6784-6788,p.901, Les Registres de Boniface VIII, Recueil des Bulles de cepapePublieesOu analyses d après les ManuscritsOrigaux de Archives de Vatican, IV Tomes, ed,byG.Digard,M. Faucon, A. Thomas et. R. Fawtier, BEFAR, 2e serie,paris,1884-1939, Tome,I,nos.1591,1654, pp. 620-621, Tome III, no.5015,p. 652, Reg.Cle.V,.Tome II, no.2995, pp.166-167.

(١) بندكت الحادي عشر : نيقولا بوكسينا NiccoloBoccasini،ولد في مدينة تريفزون Tervison في عام ١٢٤٠م، وكان ابنًا لنوتارى دى هاميل Notary of Humble، وواحدًا من الذين تعلموا على النظام العام لهيئة الدومينيكان. عُين رئيسًا لأساقفة أوستيا Ostia، ثم اعتلى عرش البابوية بعد أحد عشر يومًا من موت سلفه وعلى الرغم من قصر فترة اعتلائه عرش البابوية أصدر قرار الحرمان ضد ملك فرنسا، وتوفى فى مدينة بورجيا Borga فى السابع من يوليو عام ١٣٠٤م. ينظر:

Kelly, The Oxford Dictionary, pp.210- 212; Kuhner, Encylopedia, pp.102-103.

(٢) Reg. Bon. Tome III,nos. 4420,5015,5020,5346,pp. 324,651,655,846,847.

(٣) Reg. Bon. Tome XI., nos. 545,546,pp.362-363.

(٤) Angeles, M.R., la Corona de Aragon ylosestados del norte de Afric,

التجاري مع سلطنة المماليك خاصة في الوقت الذي دارت فيه المفاوضات مع ملك فرنسا[١] فيليب الرابع الجميل PhilipIV le Bel (١٢٨٥-١٣١٤م)[٢]، للقيام بحملة صليبية ضد سلطنة المماليك ١٣٠٨م.

إن الحظر البابوي الشامل على سلطنة المماليك يتضح بصورة جلية من خلال الجدل الذي دار بين البابا يوحنا الثاني والعشرين، وبين بعض أساتذة القانون المدفوعين بتحريض من البندقية واستند رجال القانون إلى الرأي القائل بأن المجامع الكنيسية التي أقرت الحظر نصت على منع التعامل مع سلطنة المماليك في السلع الحربية فقط، وبالتالي فالاتجار في السلع التقليدية أمر مشروع، وأنكر البابا عليهم ذلك بشدة، وأشار إلى أن"الحظر لا يختص بهؤلاء الذين ينقلون السلع الحربية، بليشمل أيضًا هؤلاء الذين ينقلون السلع الأخرى تلك التي حرمت في المجامع أو على لسان البابوات السابقين"، وزاد البابا في ذلك باتهامه رجال القانون بالهرطقة، وهددهم بالحرمان إذا ما استمروا في اعتقادهم هذا[٣]، ويتضح من ذلك –من وجهة نظر البابوية– أن كل من يقوم بعلاقات تجارية مع سلطنة

Barcelona, 1951,p.272,n.(5).

(١) Ashtor, E., levant Trade in the leter Middle Ages, New Jersy, 1983,p.19, محمد الزامل،الحصار الاقتصادى على مصر أواخر العصور الوسطى ١٢٩١-١٥١٧م، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ص.٢.

وعن جهود فيليب الرابع الصليبية راجع: Schein, S., Philip IV and the Crusade:a Reconsideration, in Crusade and settlement, ed.by. Edbury,P.W., UniverisityCollege Cardiff Press, 1985,pp.121-126.

(٦) فيليب الرابع، هو ابن الملك فيليب الثالث PhilipIII (١٢٧٠-١٢٨٥م) والملكة إيزابيلا دى أراجون IsabelladeAragon، ولد في عام ١٢٣٥م، وسمى بالجميل - أو الوسيم -LaBel؛ بسبب هيئته الحسنة، وتولى الحكم في مارس ١٢٨٥م، وتزوج جوانا دى نافار JeannedeNavarre ابنة ملك نافار، وتوفى في التاسع والعشرين من نوفمبر ١٣١٤م، ينظر:. C.M.H., Vol. VII, p.309.

(٣) Reynaldus, Ann. Ecc.Ad. Ann. 1324,1326,Tome 24, nos. 42,44,pp.269,306.

المماليك أو يقدم لها الدعم أو يستخدم موانيها لأغراض تجارية أو غير ذلك يعد منتهكًا للحظر البابوي(١).

ومن ثم فقد أطلقت البابوية على هؤلاء الذين تربطهم علاقات تجارية مع سلطنة المماليك في بدايات القرن الرابع عشر الميلادي مصطلح "السكندريون De Alexandrinis"(٢) في سجلاتها، وكذلك سجلات بعض المدن التجارية الأوروبية، وقامت البابوية بعدة إجراءاتلملاحقة المخالفين ووقف حركة التجارة المتجهة إلى سلطنة المماليك، بل عمدت إلى الاحتفاظ بقوة محلية أشبه ما تكون بنقاط مراقبة في معظم موانئ مدن جنوب أوروبا التجارية –ربما كانت مدفوعة بآراء أصحاب المشاريع– كانت مهمتها التعرف على وجهة السفن الحقيقة التي سيتجهون إليها أو القادمين منها ونوعية السلع المنقولة، وإذا ما ثبت لهم أن أي من هذه السفن ذاهبة إلى أو قادمة من سلطنة المماليك تقوم هذه القوة بالتحفظ على حمولتها، وتقوم بالتحقيق مع كل من كان على متن هذه السفينة(٣)، وتكمن

---

(١) Reg. Nic. IV, nos. 6784-6788,p.901, Reg.Bon.VIII,Tome I, no.2338, p.926, Tome II, no. 2397, p. 7, Reg. Cle.V, Tome II, nos. 2987, 2994, pp. 153, 166.

(٢) السكندريون اسم أُطلِقَ على التجار الذين قاموا بالتبادل التجاري مع سلطنة المماليك بشكل مباشر أو من خلال وسطاء ليس هذا فقط، بل أيضًا على الأفراد الذين ذهبوا في معية هؤلاء التجار وقدموا العون لهم مثل الخدم والكتاب والقساوسة، وكذلك أي شخص يرسل سلعًا مع التجار بهدف الكسب، أو يقوم بإمداد التجار بالأموال، فضلًا عن هؤلاء الذين يعملون على متن هذه السفن التي تبحر إلى السواحل المملوكية، ولم يقتصر الأمر على الرجال وحدهم، بل شمل أيضًا النساء إذا ما قمن بخرق الحظر المفروض. راجع Odena,T., "De Alexandrinis" "EL Comercioprohibido con los Muslmanesyelpapado de Avinondurante la primeramitad del siglo XIV", in AEM, Vol.10,1980,pp. 240-243.

(٣) كان التحقيق يتم في بعض الأحيان بمعاونة السلطات الكنسية التي يقع الميناء في نطاقها، ويتم مسائلة كل من كان على متن السفينة من بحارة وأفراد، وكذلك مراجعة سجلات حسابات البضائع المحمولة عليها. لمزيد عن الكيفية، ونماذج عنها. راجع: Reg. Cle.V, Tome III, nos.7118-7119,pp.241-242;Odena, De Alexandrinis, p. 253, محمد الزامل، الحصار، ص٢٣.

أهمية هذه الإجراءات عند عودة السفن إلى الموانى الأوروبية، وليس قبل مغادرتها السواحل الأوروبية؛ لأن العديد من هذه السفن كان يمكنها أن تخفي وجهتها الحقيقية عند الإبحار حتى لو كانت تحمل سلعًا حربية(١)، وعند ثبوت الإدانة كان تفرض عقوبات على المخالفين تمثلت في الحرمانالكنسيExcommunication(٢)، والغرامات المالية التي أقرت في المجامع الكنيسية، ومراسم البابوات التي نصت على: "لا يتم العفو من الحرمان إلا إذا ما قُدِم مبلغًا يعادل قيمة السلع التجارية التي تم نقلها بسفنه أو من موانيه"(٣)، وكانت تلك الغرامات المفروضة في حالة الاتجار في السلع التقليدية تدفع إلى السلطات العلمانية التي يتبعها مرتكب المخالفة، بينما تلك التي تفرض نتيجة للاتجار في السلعالحربية تدفع مباشرةً إلى البابوية(٤)بيد أن قيمتها كانت متغيرة من آن لآخر، فتارة قدرت بكل البضائع والأموال التي ثم استثمارها من قبل المخالف في رحلته مع سلطنة المماليك وتارة أخرى قدرت بنصفها وثالثة بربع الربح الناتج عن هذه الرحلة بالنسبة للرجال، والخمس بالنسبة للنساء(٥)،

---

(١) Odena, De Alexandrinis, p. 253.

(٢) عقوبة الحرمان الكنسي، هو حكم يمنع الحاكم من ممارسة وظائف حكمه أو تحريم ممارسة العبادة في مكان معين وقعت عليه العقوبة. راجع :- نور الدين حاطوم، التاريخ الوسيط في أوربه، ٢جزء، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢،صـ٦٩، حاشية(٢).

(٣) كان يتبع عقوبة الحرمان الكنسي فقدان الحقوق المدنية والحرمان من شغل الوظائف الرسمية وفقد الحق في الميراث، وعدم القدرة على القيام بأعمال تتعلق بالنواحي الدينية، ويعتبر عدوًا للمذهب الكاثوليكي وعبدًا لمن يقبض عليه أثناء قيامه بهذا العمل مع سلطنة المماليك. راجع: Thomas,G.M., Diplomatarium Veneto. LevantinumsiveActa et Diplomata res VenetasGraedosAtquelevantis Ill ustrantia A 1300-1454, 2Vols.,Venice, 1880-1899, Vol. I,nos.10,pp.20-21; Angeles, la Corona,p 276.

(٤) Odena, De Alexandrinis, pp. 253,289.

(٥) Reg.Nic. IV, nos. 2199, 6789, pp.388,901; Reg. Bon. VIII, Tome I, no. 2338, p.926, Tome II, nos. 2397,3109, pp. 8, 434; Reg. Ben. XI, no. 1101,

ولعل ذلك مرجعه إلى وضعية المرأة في المجتمع الأوروبي في تلك الفترة، وما يقع عليها من حقوق وواجبات، ووضعيتها داخل المجتمع، وحقوقها في الإرث طبقًا لطبيعة العصر؛ فضلًا عن أن اشتغال المرأة بالتجارة لم تكن نسبة كبيرة في تلك الفترة، واقتصر دورها على الاقتصاد المحلي المتمثل في الزراعة والاشتغال بالحرف الصناعية الصغيرة والتجارة في الأسواق المحلية.

وكان التفاوت في قيمة الغرامة في أغلب الأحيان يعود إلى طبيعة الظروف التي تعيشها السلطة الدينية نفسها، فحينما تطفو على السطح فكرة أو دعوة لحملة صليبية تتشدد البابوية في فرض تلك الغرامات دون تقديم أية تسهيلات وذلك لردع الراغبين في التجارة مع سلطنة المماليك، ولتوفير الدعم الماليللحملةالمزمع قيامها(١)، وليس هذا فقط، فقد فرضت على البحارة والعاملين على متن السفن التي انتهكت سياسة التشدد البابوي بأن يقوموا بتقديم كل المبالغ التي تقاضوها كرواتب إبان الرحلة بعد أن يقتطعوا منها ما يكفي لمعيشتهم(٢)، غير أنه في حالات نادرة قامت البابوية بمسامحة بعض المخالفين من قرار الحرمان والغرامة المالية(٣)، وتلك الغرامات لم تكن لتسقط بوفاة الموقع عليه العقوبة؛ بل كانت حقًا على ورثته تدفع من الميراث(٤).

---

p.660; Reg. Cle. V, Tome II, no. 2994,p.166; Angeles, la Corona,p.276.

(١) Reg. Cle.V, Tome II, no. 2994,p.166; Angeles, la Corona, p.276; محمد الزامل، الحصار، ص:٢٤.

(٢) جاء مثالًا لهذا بحار قطلاني يدعى أرنولد دي بانهيريس BaniheriisArnald de، الذي أجبر من قبل البابا يوجنا الثاني والعشرين على رد الرواتب التي تقاضها أثناء رحلته في عام ١٣١٦م.للمزيد راجع:.Odena,De Alexandrinis,p.268

(٣) جاء نموذجًا لذلك ما حدث في ١٣٧٦م، حينما قام البابا جريجورى الحادي عشر GregoryXI(١٣٧٠-١٣٧٨م.) بمسامحة ثلاثة مسيحيين من أرمينية الصغرى اتهموا بنقل سلع حربية من حوض البحر الأسود إلى سلطنة المماليك من الحرمان دون دفع غرامة مالية، لكون سفنهم قد تحطمت وفقدوا كل شيء. راجع: .Housley,The Avignon, p.208

(٤) لقد الزمت البابوية ورثة المتوفي، الذي يثبت انتهاكه لسياسة التشدد التي تتبعها، أن يدفعوا الغرامة

وتعد هذه الغرامات مصدرًا هامًا من مصادر الدخل البابوي، فقد كانت تستخدم في دعم المخططات الصليبية التي كانت ترمي إلى تجهيز حملات هدفها القضاء على القوى الإسلامية في الشرق والغرب على حد سواء، وكذلك الأغراض الخيرية للكنيسة،وفداء الأسرى المسيحيين لدى القوى الإسلامية، واستخدم جزء منها لدعم نفوذ البابوية في إيطاليا(١)،وتغطية نفقات رجال الدين(٢)، ولم يكن لأحد حق المسامحة إلا البابا نفسه، غير أن الأمر قد تغير مع التزايد الكبير في أعداد المخالفين لسياسة التشدد وانتشارهم، فأصبح من العسير على البابا القيام بهذه المهمة منفردًا، فمن هنا بدأ في منح تفويض بهذه الصلاحيةلعدد من رجال الدين والرهبان والمبشرين والجباة، الذين انتشروا في مختلف أنحاء أوروبا، للقيام بهذه المهمة حاملين معهم مراسيم تكليفهم- من قبل البابا- حق مسامحة المخالفين في دوائرهم(٣).

ورغم هذا التشدد من قبل البابوية في فرض سياسة التشدد، إلا أن القوى التجارية الأوروبية كان لديها من المصالح الحيوية ما يدفعها إلى مواصلة تجارتها

من الميراث حتى يحل المتوفي من قرار الحرمان، ويحق لهم الانتفاع بإرثه. راجع:
Reg.Bon.VIII,Tome II, no.311,p.435;
Reg.Ben. XI, no. 1234,pp.761-762.

(١) عن صراعات البابوية في إيطاليا. راجع: Housley,N.,TheItaianCrusades the papal Angevin Alliance and the Crusades against Christian lay powers1254-1343,Oxford& New York,1982.

(٢)عن مصادر الدخل الأخرى للبابوية راجع: Housley,The Italian,pp.174-190.
وعن مصارف هذه الغرامات راجع: Reg.Nic. IV,nos.2199,6789,pp.388, 901-902; Reg. Bon. VIII, Tome II, no. 3111, p.435; Reg.Ben XI,nos. 86,1101,pp.85,660; Reg. Cle.V, Tome II, no.2994, p.166.

(٣) منح البابا يوحنا الثاني والعشرين في عام ١٣٢٩م، لبطريرك بيت المقدس حق مسامحة أربعين شخصًا، ممن قاموا بانتهاك قرارات البابوية منالقبارصة أثناء مروره بقبرص؛ لاستخدام هذه الأموال في تغطية نفقاته أثناء إقامته ببيت المقدس. راجع:
Odena, De Alexandrinis, p. 257.

المربحة،فمملكة أراجون Aragonكانت أول من تحدى سياسة البابوية خاصة بعد الأحداث الخطيرة عام ١٢٨٢م[١]،التى عرفها التاريخ باسم" أحداث صلوات العشية الصقلية Sicilian Vespers[٢]؛ لذا سارعت في عهد ملكها جيمس الثاني Jeams II(١٢٨٥-١٢٩٥م.) بإبرام معاهدة تحالف مع السلطان الأشراف خليل في بدايات عام ١٢٩٢م، كان من بين بنودها استمرار العلاقات التجارية بين الدولتين[٣]، ويؤكد ذلك الأعداد الكبيرة من القرارات المتعلقة بالغرامات المالية، التي وقعت على رعايا تابعين لمملكة أراجون، ويأتي دليلًا على استمرار تلك العلاقات التجارية[٤]، وفي عهد ملكها بطرس الرابع Peter IV (١٣٣٦-

---

(١) بدأ العداء بين بطرس الثالثPeter III ملك أراجون(١٢٦٧-١٢٨٥م)، لأن بطرس كانمتزوجًا من كونستانس Constance ابنة مانفريد Manfred ملك صقلية (١٢٥٨-١٢٦٥م)، الذى قتل على يد شارل أف أنجوCharles of Anjou(١٢٢٦-١٢٨٥)، فى بنفيتو Benevento ٢٦ فبراير ١٢٦٥م، وانحياز البابوية لصالح شارل فى هذا الصراع، ومنذ تلك اللحظة نودى بكونستانس ملكة لصقلية، وأصبح بلاط زوجها ملاذاً للفارين من صقلية. عن هذا الصراع راجع:- اسحق عبيد، الدولة البيزنطية فى عصر ميخائيل باليولوجس (١٢٦١- ١٢٨٢ م)،دار الكتب، بيروت، دت، ، صـ ١٠٢-١٠٣.

(٢) عن أحداث هذه الثورة: راجع: Villani,G.,VillanisChronicle Being Selections From the First Nine Books of the Chronicle Fiorentine of Giovanni Villani, trans. E. Rose, London, 1906,pp.267-268;Primat, Chronique de Primat, traduite par Jean du Vignay, **RHGF**, Tome XXIII, p.101; Ranciman, S., The Sicilian Vespers, Penguin Book, Cambridge University press, 1960.

(٣) Alarcon, Y.S.M.A. and Garc, A. de Linares, R., Los DocumentosArabesDiplomaticos delArchivo de Lacorona de Aragon, Madrid, 1940, no.145, pp. 336-388;

القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ١٤جزء، القاهرة، ١٩٦٣م، ج١٤، صـ ٦٦-٩٦؛ بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق زبيدة عطا، جده، د ت، ج٩، صـ٢٨٧.

وعن استمرارالعلاقات راجع دراسة: Atiya, A.S., Egypt and Aragon Embassies and Diplomatic -Correspondence between 1300 and 1330 A.D., Leipzig, 1938.

(٤) لم يستطع الباحث الوصول إلى نسخة من هذه القرارات، غير أنه اعتمد على ما ذكره المؤرخ

١٣٨٧م)، بلغ النشاط التجاري ذروته مع سلطنة المماليك، وذلك بعد اتخاذ الملك قرارًا بوقف كافة الدعاوى القضائية المدنية ضد مخالفي قرارات البابوية من رعاياة، والامتناع عن قبول مثل هذه الدعاوى مستقبلًا، وذلك رغبة لطلبات مجلس مدينة برشلونة Barcelona، الذي دفع مبلغًا كبير من أجل استصدار هذا الإعلان من الملك، الذي زاد في الأمر بإعلانه عدم مهاجمة التجار أو مصادرة بضائعهم، تلك التي يبحرون بها إلى المواني المملوكية(١)، وعلى النسق ذاته سارت مدينة مارسليا Marseille التي ظهرت بها دعاوى قضائية تفيد بوجود أحد تجارها يتاجر في أسواق الإسكندرية منذ عشرين عامًا(٢)، ويرجح ذلك وجود فندق لتجار مرسليا في الإسكندرية منذ عام ١٣٢٢م، وبرز هذا الدور جليًا في بدايات العقد الثالث من القرن الرابع عشر الميلادي، الذي شهد العديد من الرحلات، التي قامت بها السفن التجارية من مارسليا إلى الإسكندرية، وهي محملة بالبضائع، وعلى متنها كثير من تجار مدن جنوب فرنسا(٣).

هذا عن أراجون ومارسليا؛ أما عن جنوا، فقد اختلفت عن سابقيها، فقد بدأت مؤيدة لسياسة التشدد، وأبدت إلتزامًا نسبيًا، فوقعت غرامة مالية على مالكي شركة ليوكاري Lecari الجنوية، لمخالفاتها لمرسوم البابا نيقولًا الرابع، وكثيرًا من المواقف الأخرى التي ساندت فيها البابوية ضد قوى تجارية أخرى(٤)، غير أن هذا

أشتور في دراسته..Ashtor, Levant Trade, pp. 21, 36-37

(١)هايد، تاريخ التجارة، ج ٢، ص:٢٦٠-٢٦٢.Housley, N., The Avignon, p. 203;

(٢) Baratier&Reynaud, Histoire du commerce de Marseille,IITomes,Paris,1951, Tome II, p.209.

(٣) Baratier& Reynaud, Histoire, pp.221-222;Ashtor, Levant,p. 52; هايد، تاريخ التجارة، ج٢، صـ ٢٦٣-٢٦٤.

(٤) قام بعض الجنوية يدعى تديزيو دوريًا TedisioDoria -هو الشخص نفسه الذي دخل فيما بعد مع مانويل زكريا Manuel Zachari في خدمة البابوية- في أواخر القرن الثالث عشر، بمهاجمة إحدىالسفن التابعة لمدينة بيزا أثناء عودتها من الإسكندرية بشحنة ثمينة، وعلى متنها تجار من بيزا

الأمر لم يستمر طويلًا –الخوف من قرارات الحرمان الكنسي التي كان تصدرها البابوية بحق كل من يعصي أوامرها– إذا لم تكن لديهم القدرة على تحمل الخسائر التي جلبتها عليهم مساندتهم لسياسة التشدد، فبدأوا في إنشاء إدارة عرفت بإسم إدارة المنهوبات RobarieOfficium[١]، لتلقي شكاوى التجار الذين تعرضوا للقراصنة الجنويين، وتعيد لهم بضائعهم التي فقدوها أيًا كانت جنسياتهم أو ديانتهم؛ مما كان سببًا للحد من نشاط القراصنة الجنوية الذين كانوا يتذرعون بتنفيذ قرارات البابوية[٢]، وتشجيع العديد من التجار الأوروبيين على نقل السلع الحربية إلى المماليك[٣]، ويبدو أن التجار الجنويين أنفسهم استغلوا وجود تلك الإدارة، فخرقوا قرارات البابوية، فكانت محصلة المخالفين كبيرة، مما دفع السلطات الجنوية أن تطلب من البابا بندكت الحادي عشر في عام ١٣٠٤م، بأن يسمح لهؤلاء الخارقين لقراراته بالحصول على الغفران بعد دفع الغرامة المالية في جنوا بدلًا من تجشم عناء الذهاب إلى روما[٤]، ومما يؤكد خرق الجنويين لقرارات البابوية قيام الاسبتارية Hospitallers[٥]بأسر إحدى السفن الجنوية، وهي في

ومارسليا ونربون Narbonne، وغيرها، واستولى عليها استنادًا لقرارات البابوية التي تجيز مصادرة بضائع أي تاجر يُضبَط متلبسًا بالمتاجرة مع المماليك، ويصبح عبدًا لمن قبض عليه. للمزيد راجع:- Baratier and Reynaud, Histoire, p. 208.

(١) كانت هذه الإدارة تقوم بتعويض التجار –أيًا كانت جنسياتهم أو ديانتهم- الذين تعرضوا للنهب على يد القراصنة الجنوية عن الأشياء التي نهبت منهم شريطة ألا تكون حكوماتهم في حرب مع جنوا، وكان لهذه الإدارة من السطوة والقوة ما لم يجرؤا أحد على تحديها أو رفض قراراتها. راجع:

(٢) Adam G., De Modo, pp.526-528;Pryor, J.H., Geography, Technology, and War, Studies in the Maritime History of the Mediterranean (649-1571), Cambridge, 1992, p. 145.

(٣) محمد الزامل، الحصار، صـ٣٠.

(٤) Ashtor, Levant, pp.19-20.

(٥) الاسبتارية هم جماعة دينية من الفرسان أنشئت قبل إنشاء جماعة فرسان الداوية، غير أن نشاطها العسكري لم يبدأ إلا بعد إنشاء جماعة فرسان الداوية، ولكنها كانت أضعف شأنًا منها. للمزيد عن نشأة هذه الجماعة راجع دراستين عربيتين هما: مصطفى الحناوي، جماعة فرسان الاسبتارية

طريق عودتها من الإسكندرية، وقاموا بإرسائها في ميناء برنديزي Brindisi[١]، وقاموا بإبلاغ البابا كلمنت الخامس بذلك الذي ما لبث أن أمر المختصين من رجال الدين في جنوا ونابولي Naples[٢]، وبرنديزي بالتحقيق في هذه الواقعة وتحري الدقة في معرفة الأفراد الذين أُدينوا بانتهاك قرارات البابوية في نطاق دوائرهم[٣]، فضلًا عن توجيه اللوم للسلطات في جنوا لسماحهم لرعاياهم بالتورط في تصدير السلع الحربية لسلطنة المماليك، وقيامهم بخطف أطفال مسيحيين وبيعهم لسلطنة المماليك رافعين على سفنهم شارات المسلمين[٤]،وعلى ما يبدو أن

ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي في عصر الحروب الصليبية (١٠٩٩-١٢٩١م/٤٩٣-٦٩٠هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب-جامعة الإسكندرية، ١٩٨٠؛ نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، القاهرة، ١٩٩٤م، ص:١٣-١٥. أما عن دور الاسبتارية فيحوض البحر المتوسط بعد عام ١٢٩١م هناك ثلاث دراسات أحدهما بالفرنسية، وهناك اثنان بالإنجليزية: J. DelavilleLe Reulx, Les Hospitaliers A Rhodes, Jusqura la Mort de Naillac, 1310-1321, Paris, 1913;Smith, J., The KnightsHospitaller in the Levant, c. 1070-1309, Palgrave Macmillan, 2012;J.DelavilleLeReulx, les Hospitaliers a Rhodes (1310-1421) introduction by. Anthony Luttrell, London 1974.

وهناك مجموعة من الدراسات بلغ عددها عشرون مقالة ثم تجميعها من قبل مؤلفها في مجلد واحد تحت عنوان:- Luttrell A., The Hospitallers in Cyprus, Rhodes, Greece and the West, London, 1978.

(١) برنديزى، مدينة إيطالية، كانت تسمى براندیزیوم Brundisium، وهى عاصمة إقليم برنديزى، وميناء تجاري مهم على البحر الأدرياتيكي، . يراجع: بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين،صـ ٧٠؛ Moore , The penguin, p. 125.

(٢) نابولي: مدينة إيطالية وهي نابولس Neapolis قديمًا، وهي عاصمة إقليم نابولي Neapoli، وهي الميناء الثاني في إيطاليا في العصر الحديث، والمدينة الثالثة من حيث المساحة، وتبعد مائة وثلاثة وتسعين كيلو مترًا جنوب شرق مدينة روما Rome. راجع:-
Moore, The penguin, pp.539-40.

(٣) Reg. Cle.,V, Tome III, nos, 7118-7119, pp.241-242.

(٤) Reynaldus, Ann. Ecc.ad ann., 1317, Tome XXIV, no. 36, p.60.

جنوا بدأت تلعب دورًا كبيرًا في التجارة في السلع المحرمة مع سلطنة المماليك، كرد فعل لعاملين مهمين هما: أن الفترة نفسها شهدت نشاطًا زائدًا للتاج الأراجوني بعد سيطرته في الربع الأول من القرن الرابع عشر على جزيرتي صقلية وسردينيا رغم مقاومة البابوية لذلك، أما الثاني فهو قيام البندقية في الشهور الأولى من القرن الرابع عشر الميلادي، بتوقيع معاهدة تجارية مع السلطان المملوكي في مصر، فاعتبر ذلك دلالة واضحة على إعطاء الأولوية للمصالح الاقتصادية والتجارية فوق كل اعتبار آخر.

ومما يؤكد اختراق جنوا لسياسة التشدد البابوي وجود قنصلية جنوية وفندق في الإسكندرية فيما بين عامي ١٣٠٤-١٣٢٢م، وكان هناك قنصل جنوي مقيم يسمى جيزولفو دي جيزولفيGhisolfo de Ghisolfi، واستمرت علاقاتها التجارية مع سلطنة المماليك(١)؛ مما خلق صراعًا بينها وبين البابا يوحنا الثاني والعشرين، الذي اتهمهم مرارًا وتكرارًا بمساعدة سلطنة المماليك عن طريق تزويدهم بالرقيق والسلع الحربية والعيش معهم في سلام(٢)، وكذلك دخولهم في صراع مع الاسبتارية بعد عام ١٣١٢م، بعد فشل السفير الجنوي أنطونيوسبينولا في إقناع الإسبتارية في رودس بتسليم السفينة التي قبضوا عليها، فاستشاط غضبًا وذهب

---

(١) يذكر المؤرخ هايد أنه لا يوجد بين قوانين جنوا التي بقيت محفوظة إلى اليوم قانون يحرم بصفة عامة التجارة مع سلطنة المماليك في بدايات القرن الرابع عشر الميلادي. راجع:- هايد، تاريخ التجارة، ج ٢، صـ٢٦٥،٢٦٧.

عن تجارة جنوا في بلاد الشام قبل تطبيق سياسة التشدد. راجع: Byrne, E. H., Genooese Trade with Syria in the Twelfth Century, **AHR**, Vol.25, No.2, Jan 1920, pp.191-219.

(٢) Raynald, ann, 1317, Tome XXIV, no. 36, p.60.

وفقًا لقوانين Pe'ra التي نسق جزء كبير منها عام ١٣٠٤م، واستمرت الإضافات حتى عام ١٣١٦م، لم يحرم الاتجار مع سلطنة المماليك إلا في السلع الحربية فقط (الحديد وخشب البناء، والأسلحة والعبيد من الجنسيين). راجع:- هايد، تاريخ التجارة،ج ٢، ص٢٦٦.

إلى بنمنتشاMentecheالتركمان في آسيا الصغرى[١] طالبًا منهم القبض على تجار رودس وغيرهم من رعايا الاسبتارية الموجودين في إقليمه وإغرائهم بغزو جزيرة رودس وطرد الاسبتارية منها، في مقابل ذلكيدفع لهم مبلغ خمسين ألف دينار ذهبي[٢]، وعلي ما يبدو أن هذا المشروع لم يخرج إلى حيز التنفيذ لصمت المصادر المعاصرة عن أي صراع قام بين التركمان والاسبتارية في حوض البحر المتوسط، ويؤكد أيضًا على استنكار جنوا لسياسة التشدد المفروضة من قبل البابوية، فيما يخص السلع التقليدية على الأقل.

غير أن سبينولا السفير الجنوي ورفاقه عند عودتهم،قاموا بأسر عدد من فرسان الاسبتارية في عرض البحر،ورفضوا أن يتم إخلاء سبيلهم إلا بمقابل فدية وجاءت رغبتهم متوافقة مع رغبة حكومتهم، فبعد وصول موفدي الاسبتارية لجنوا وانتظارهم لأكثر من شهر دون أن يقابلوا أحداً من المسؤولين، عادوا من حيث جاءوا ورفعوا شكواهم إلى البابا الذي ما لبث أن أرسل إلى جنوا تعنيفًا شديدًا، وأجبرهم على إطلاق سراح أسرى الاسبتارية دون دفع فدية، وكذلك معاقبة من قاموا بذلك[٣]، ولم تذكر المصادر هل استجابت جنوا لطلبات البابا أم لا؟، غير أن هذا الحدث يؤكد على عدم التزام جنوا بقرارات البابوية تلك التي تتعلق بالسلع التقليدية على أقل تقدير، فاستمرت في تجارتها مع سلطنة المماليك.

---

(١) تنسب هذه الأسرة إلى منتشا بكMentecheBek، الذي نجح في تأسيس إمارة تركمانية - تحكمها أسرته- في الجنوب الغربي من آسيا الصغرى مستغلًا حالة الضعف التي حلت بدولة سلاجقة الروم في القرن الثالث عشر الميلادي. للمزيد عن نشأة هذه الأسرة ودورها السياسي راجع: زبيدة عطا، الترك في العصور الوسطى، القاهرة، د.ت، ص:١٤٩-١٥٠.

(٢)هايد، تاريخ التجارة، ج ٢، ص:٢٦٦-٢٦٧. Housley, The Later Crusades, p.38;

(٣) Mas-Latrie, M.L., Histoire de Lilte,Tome II, pp.31-33.

ويرجح ذلك تنديد هنري الثاني ملك قبرص في عام ١٣١١م "بهؤلاء المسيحيين الأشرار المزيفين" – فى مذكرتة السالفة الذكر– الذين كانوا يشحنون الرقيق والخشب والحديد والقار والمؤن والحاجات الضرورية الأخرى للمسلمين كما ذكر أنه وحرسه قد اعترضوا قادوسًا جنويًا يحمل الخشب من آسيا الصغرى إلى مصر، وأصبح منع سفنهللسفن الأوروبية التنتقل الرقيق موضوعًا تردد صداه في مذكرة تالية قدمها السفراء القبارصة إلى البلاط البابوي عام ١٣٢٣م(١)،وليس هذا فقط، فقد قام– ملك قبرص– بأسر سفينة جنوية كانت قادمة أو ذاهبة إلى مصر، وحينما طالبته جنوا بردها رفع الأمر برمته إلى البابا الذي أصدر حكمه في عام ١٣٣١م، بقيام الملك القبرصي بدفع تعويض للجنويين قدره ١٠٠.٠٠٠ دينار بيزنطي في المقابل يدفع الجنوية تعويضًا مساوٍ للملك عن طلباته المضادة (٢)، وهناك وثيقة تقر بأن الجنوية كانوا يلجئون إلى حيلة ماكرة لتفادي قرارات البابوية،حينما قاموا بتأجير سفنهم التي كانت تنقل السلع المحرمة إلى تجار مسلمين، وكانت هذه السفن ترفع الرايات الإسلامية، وكانت أشهر السفن تابعة لأحد تجار الرقيق ويدعى سيجورانو سالفاجو SeguranoSalvago، الذي أمد سلطنة المماليك بأكثر من ١٠.٠٠٠ من الرقيق الأبيض،– منقبل– فضلًا عن عديد من شحنات الحديد والأخشاب(٣)، وهذا يعكس وجود علاقات تجارية بين جنوا وسلطنة المماليك طيلة النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي(٤).

وبنظرة مدققة إلى دور مملكة قبرص في تبني سياسة التشدد للبابوية يجعل القول بأنها كونها أصبحت المركز الصليبي الباقي بالقرب من سلطنة المماليك –

---

(١) إديبوري بيترو، قبرص والحروب الصليبية، ص ١١٢.

(٢) Raynald, ann 1331, Tome XXV, no. 30 p.27; Mas-Latrie, Histoire de Lilte,Tome II, p.156.

(٣) Adam, De Mode Sarracenos, pp.525-526.

(٤) هايد، تاريخ التجارة، ج ٢، صـ ٢٦٧-٢٦٨.;Ashtor, Levant, pp.48-50

مع استثناء مملكة أرمينيا- كانت مستفيدة من ذلك الحصار لعاملين هامين:**الأول** هو أنها بتطبيق تلك السياسة تضعف سلطنة المماليك، وهي العدو الأول لها وتتطلع دائمًا للقضاء عليها، غير أن هذا العامل كان يتطلب قوة عسكرية كبيرة لتنفيذ قرارات البابوية، وهو الأمر الذي كانت تعوزه مملكة قبرص، أما العامل **الثاني** فهو اقتصادي بحت، ففي ظل انقطاع التجارة الأوروبية مع الموانئ الإسلامية بدت هناك منافع واضحة جدًا تخص مملكة قبرص، فقد جعلها ملاذًا للتجار يتزودون منها بكل ما يحتاجونه، ويتاجرون فيها خاصَة أن غلق الموانئ الإسلامية جعل من فاماجوستا Famagusta[(١)] مستودع رئيسي؛ لأن التجار المحليون يأتون بالسلع الآسيوية ويبيعونها لإعادة تصديرها إلى أوروبا، بذلك كانوا يجمعون ثروة كبيرة، وكانت الخزانة الملكية تفرض الضرائب ونتيجة لذلك أخذ الاقتصاد القبرصي يتطور ويزدهر ككل[(٢)] حيال طلب الخدمات اللازمة لهذه التجارة[(٣)]، وعليه يتضح أن جنوا دفعتها أهدافها الاقتصادية إلى استمرار تجارتها مع سلطنة المماليك بشكل مباشر وغير مباشر، واستغلت كافة الوسائل للحفاظ

---

(١) فاماجوستا: إحدى مدن الجنوب الشرقي لجزيرة قبرص، ظلت طوال العصور الوسطى الميناء الرئيسي للجزيرة خاصَة في عصر أسرة لوزيجنان، وأصبحت المركز التجاري الأول بعد سقوط عكا، مما أدى إلى هجرة كثير من السكان إليها، أما الآن فهي مدينة صغيرة بها كثير من المباني القديمة المهدمة، كما فقدت أهميتها التجارية. راجع:-
فولفغانغ مولر. فيز، القلاع أيام الحروب الصليبية، ت. محمد وليد الجلاد، مراجعة سعيد طيان، مركز الدراسات العسكرية، ط ١، دمشق، ١٩٨٢م، ص: ١٢٠-١٢٢.

(٢) ويذكر المؤرخ بيتر إدبيوري أن زوار مملكة قبرص في فترة حكم هنري الثاني وهيو الرابع HughIV (١٣٢٤-١٣٥٩) يشهدوا على التنوع الضخم للتجارة، التي كان يتم تداولها هناك، وتشهد كذلك العملة على فرة تدفق الفضة إلى الجزيرة، كما أن الآثار المعمارية الباقية، والتي يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر في فاماجوستا تمثل دليلًا إضافيًا على الاقتصاد المزدهر. راجع:-ادبيوري ، الشرق اللاتيني ١٢٩١-١٦٦٩م، ضمن تاريخ أكسفورد الحروب الصليبية، ٢ جزء، تحرير جوناثانرايليسميث، ت قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٩، ج ٢، صـ ٢١٣.

(٣) إدبيوري، قبرص صـ ١١٣.

على هذا النشاط، وذلك على ما يبدو نتيجة حتمية للظروف السياسية المحيطة بها، فما لبثت أن أنهت صراعها مع البندقية في شرق البحر المتوسط، وحوض البحر الأسود، حتى دخلت في صراع مع مملكة قبرص وفرسان الاسبتارية في رودس، وليس هذا فقط، فقد دخلت في صراع مع أسرة أنجو في صقلية انتقلت منه إلى صراع مع برشلونه شغل النصف الثاني القرن الرابع عشر الميلادى.

أما إذا ما انتقل الحديث عن البندقية فلا يحق القول أن علاقاتها بسلطنة المماليك قد انقطعت في الفترة عقب استرداد عكا آخر المعاقل الصليبية في بلاد الشام، رغم صمت المصادر في تلك الفترة، وكذلك تحذيرات السناتو البندقي في عام ١٢٩١م، من استئجار أية سفينة والإبحار بها إلى موانئ سلطنة المماليك، وأتبع ذلك بقرار مشابهفي ١٢٩٢م، يحظر على البنادقية تزويد المماليك بالرقيق[١]، وربما كان ذلك رد فعل –كونها جزء من الغرب الأوروبي– تجاه سلطنة المماليك لاستردادها عكا، وكذلك ربما إرضاءً للبابوية التيسدتهاتشتعل نارًا بسبب ما حدث في الساحل الشاميأو لوقوع رعايا بنادقة أو سفن فى آسر سلطنة المماليك نتيجة للأحداث العسكرية في عكا.

وأيا كان السبب فالبنادقة كان هدفهم الأول – الذى لابديل عنه– هو الكسب المادي، ولم يعنهم الباعث الديني إلا بالقدر الذي يحقق مصالحهم[٢]، ويكفي أن

---

(١) عفاف صبرة، العلاقات صـ ٩٩-١٠٠ ;Ashtor, Levant Trade, p.17

هناك دراسة تحليلية تقع في مائة وثلاثة وعشرين صفحة تتناول بالتحليل والإحصاء الحوليات التي تناولت علاقة البندقية بالمسلمين من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر الميلادي، جاءت تحت عنوان:-
The Venetian Republic and Islam betweenCrusading Fervor and Realpolitik (9th–13th centuries).

(٢) عندما كانت المدن الإيطالية تلتزم بقرارات البابوية بتحريم التجارة مع مصر، كان طريق التجارة يتحول إلى القسطنطينية، وكان حظ تجار البندقية وجنوا مرتبطًا بحكام القسطنطينية ومتوقفًا على ما إذا كانت جنسيتهم الأصلية لاتينية أم يونانية، وبحسب جنسية الجالس على العرش تتمتع الأولى أو الأخرى بامتيازات خاصة أو تحرم منها. راجع:- سونيا. ي. هاو، في طلب التوابل، ت محمد عزيز رفعت، مراجعة محمد النحاس، القاهرة، ١٩٥٧، صـ ٤٣.

شعارهم المشهور آنذاك كان "لنكن بنادقة ثم بعد ذلك مسيحيين" "Siam Veneziani poi Christiani"[١]؛ لذا سعت مع البدايات الأولى للقرن الرابع عشر الميلادي إلى استمرار تجارتها مع سلطنة المماليك، ففي عام ١٣٠٢م[٢]وصل سفير بندقي يدعى جويدودي كانالي Guido de Canali إلى بلاط السلطان الناصر محمد (١٢٩٧-١٢٩٤/١٣٩٨-١٣٠٨) في ولايته الثانية، سعى جاهدًا لتأكيد الامتيازات التجارية الخاصة بالبندقية التي منحها لهم من قبل المنصور سيف الدين قلاوون (١٢٧٩-١٢٩٠م)،وسمح لهم بوجود قنصل في الإسكندرية يدعى فرنشيبسكو دي كانالي Francesco de Canale، كما تنازل عن نصف إيرادات الجمارك عن بضائع البندقية فيما يعادل ما تم أسره في السفينة ١٢٩١م[٣]، وهذا يؤكد بما لا يدع مجالًا للشك حرص البندقية على مصالحها التجارية أولًا دون التطرق للقضية الصليبية، وإن كان، فربما قام السلطان بتحييدهم وعدم اشتراكهم في المضايقات التجارية التي بدأت مع بدايات هذا القرن.

فضلًا عن ذلك، فقد تعهدت البندقية بأن يستمر تجارها في جلب السلع التي تدخل في نطاق التحريم من البابوية خاصةً السلع الحربية، في الوقت نفسه يسمح

---

(١) جوزيف نسيم يوسف، علاقات مصر بالممالك التجارية الإيطالية في ضوء وثائق "صبحالأعشى" في كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، مؤسسة شباب الجامعة، ط ١، الإسكندرية، ١٩٨٣م، صـ ٨٠.

(٢) سادت علاقات سيئة بين البندقية وسلطنة المماليك منذ ١٢٩١م؛ نتيجة لوقوع سفينة بندقية - كانت محملة بكثيرمن البضائع النفيسة-في أيدى المماليك،فضلاً عن وقوع أسري بنادقة من بين أسرى الصليبيين عقب استرداد عكا. عن هذا راجع:- هايد، تاريخ التجارة ، ج ٢، صـ ٢٦٨.

(٣) الواقع أن السفير البندقي والسلطان المملوكي قد قاما بالتوقيع على أربعة وثائق حدد تاريخها ما بين ٦ إلى ٢٢ من ذي القعدة ٧٠١هـ، ٢ إلى ١٨ أغسطس ١٣٠٢م. راجع:- هايد، تاريخ التجارة، ج ٢، صـ ٢٦٩، حاشية (١٧٥).

السلطان بتصدير سلع وبضائع[١] موازية لقيمة هذه السلع الحربية مع إعفائها من الرسوم الجمركية[٢]، وعلى ما يبدو أن هذا البند الأخير لم يقابل باعتراض من السفير البندقي، غير أنه لم يتح له فرصة للاعتراض[٣]، وثمة أن هناك قنصل يؤكد وجود جالية من التجار من واجبه أن يدافع عن مصالحها، في الوقت نفسه سعت البندقية للحصول على امتيازات تجارية ليس في مصر وحدها، ولكن في بلاد الشام أيضًا، بل زاد في الأمر أنهم إذا أرادوا زيارة قبر السيد المسيح سُمح لهم بعد تزويدهم بحرس يرافقهم مع توفير سبل الحماية والمعاملة الكريمة[٤].

ومن هذا يتضح كيف سعت البندقية إلى ربط تجارتها بسلطنة المماليك رغم معارضة البابوية؛ لذا حاولت البندقية إقناع البابوية بشرعية التجارة في السلع التقليدية[٥]؛ لأنها لا ولن تؤثر في دعم قوة سلطنة المماليك استنادًا لقرارات المجامع الكنسية، التي أقرت سياسة التشدد وأرسلت من أجل ذلك سفارتين لمقر

---

(١) جاء الذهب الإفريقي وكذا البهارات الشرقية ليملأ معًا معلمًا آخر من معالم القرن الرابع عشر الميلادي الذي أصبح فيه النشاط التجاري للبحر المتوسط ذا صبغة دولية وضعت أسس لتقنيات تجارية ومالية للرأسمالية التجارية التي ظهرت فيما بعد. راجع:- إميلوسولا، البحر المتوسط المركز الحيوي للقرن الرابع عشر، ضمن كتاب ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات، ت. إسحاق عبيد، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧، صـ ٤٨.

(٢) عادل زيتون، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط ١، دمشق، ١٩٨٠، صـ ٢٠٠.

(٣) هايد، تاريخ التجارة، ج ٢، صـ ٢٦٩.

(٤) هايد، تاريخ التجارة، ج ٢، صـ٢٧٠-٢٧٢.
من الوثائق المتاحة وما كتبه المؤرخين المحدثين حول علاقة البندقية بسلطنة المماليك يتأكد حرص البنادقة الشديد على التواصل مع موانئ مصر وبلاد الشام منذ استرداد عكا ١٢٩١م، وأنها استخدمت في ذلك كافة الأساليب الدبلوماسية.

(٥) كانت السفن الأوروبية تبحر إلى الإسكندرية ودمياط، وتعود منها ليس فقط بمنتجات مصر كالكتان والبلح والعنبر وبعض النباتات التي تستخدم في العلاج الطبي، ولكن أيضًا بمنتجات من الشرق الأقصى كالفلفل والزنجبيل وشجر البقم والقرفة والبخور. راجع:- هايد، تاريخ التجارة، ج ٢، صـ ٢٧٠.

البابا أحدهم في سنة ١٣١٧م والأخرى ١٣١٩م؛ لإقناعه بالسماح لهم بالمتاجرة في السلع التقليدية(١) غير أن البابا قد أصر على موقفه(٢) رغم استناد البندقية على مرسوم البابا بندكت الحادي عشر لاقناع البابا، وعرضت نظير- موافقة البابا- ذلك، مبلغًا كبير يصل إلى خمسة آلاف دينار إذا لزم الأمر(٣)، وعلى ما يبدو أن نوايا البندقية قد اتضحت للبابا يوحنا الثاني والعشرين، فقام بإرسال مندوبين عنه ١٣٢٢م(٤) كانت مهمتهم تحصيل المبالغ المتروكة بوصية للكنيسة، ولم تصل إليها حتى الآن، وكذلك السماح لهم -كمندبي البابا- بفرض عقوبة الحرمان على من يتاجرون مع سلطنة المماليك حتى يتوبوا ويدفعوا الغرامات المقررة عليهم(٥)، والواضح أن مندوبي البابا قد قاموا بعملهم المنوط بهم على أكمل وجه، واستطاعوا استغلال السلطات التي أعطاها لهم البابا بفرض قرارات

---

(١) شملت هذه السلع ذهبًا وفضة وقصدير ونحاس وصوف وزعفران وبضائع أوروبية أخرى. راجع:-
هايد، تاريخ التجارة، ج٢، ص: ٢٧٣.

(٢) عفاف صبرة، العلاقات، صـ ١٠٤-١٠٥.
Ashtor, Levant, pp.27-28; Luttrel, Venice, p.197;
يذكر المؤرخ هايد أنه فيما بين عامي ١٣١٣-١٣١٧م، ظهر مرسوم لمجلس الشيوخ يحظر على مواطني البندقية أن يذهبوا بأنفسهم أو أن يصدروا بضائع إلى ممتلكات السلطان المملوكي، وبتحليل النص وجد أن الإقليم المقصود بالحظر يبدأ فيما وراء دلتا نهر النيل، ويستهدف قسم ثانوي من أملاك السلطان، وأن دمياط والإسكندرية كانت خارج نطاقه وأن هدفه لم يكن إلحاق الضرر بسلطنة المماليك في مصر بقدر ما كان يهدف إلى أبعاد التجار البنادقة وبضائعهم بعيدًا عن الأخطار التي قد يتعرضون لها في بلاد الشام التي كانت مسرحًا لحروب دامية بين السلطنة والمغول. راجع:- هايد، تاريخ التجارة، ج ٢، صـ ٢٧٢-٢٧٣.

(٣) هايد، تاريخ التجارة، ج ٢، صـ ٢٧٣.

(٤) كان هذين المندوبين أحدهم يدعى أديمار تارجا AdhemarTarga رئيس أساقفة فابر Vabres، والآخر الراهب الدومنيكي فولكو أف سسترونFolcoofSisteron.
راجع:- هايد، تاريخ التجارة، ج ٢، صـ ٢٧٤.

(٥) عفاف صبرة، العلاقات، صـ ١٠٧، ١١٠؛ هايد، تاريخ التجارة، ج ٢، صـ ٢٧٤.

حرمان وغرامات مالية أثقلت كاهل البنادقة وحجمت تجارتهم مع سلطنة المماليك.

ومما يؤكد ذلك قيام البندقية بالدعوة إلى عقد لجنة مكونة من رجال الدين والقانون لمناقشة تدخلات اللجنة المكونة من قبل البابا، وخرج المجتمعون بقرار أن مندوبي البابا قد تجاوزا في سلطاتهم ويجب عليهم التوقف عن تنفيذ تلك العقوبات التي أقروها، وقاموا برفع مذكرة للبابا الذي كلف الميريك Almeric رئيس أساقفة رافينا Ravenne[(١)]، لتقصى الأمر، ويبدو أن البندقية كانت تريد الحصول على موافقة البابا على التجارة مع سلطنة المماليك في السلع التقليدية، إلا أن شخصية البـــــابا القوية كانت كفيلة برفضه هذا الطلـــب، مما دفع مجلسيالبريجاديPregadi[(٢)] والكوارانتا Quarantia[(٣)] بالاتفاق فيما بينهما في ١٨ يناير ١٣٢٣م بإصدار مرسوم يحرم التجارة مع سلطنة المماليك[(٤)]، وعلى ما يبدو أنه استمر زمنًا طويلًا، وأثبت نجاح البابوية في منع التجارة مع سلطنة

---

(١) رافينا مدينة إيطالية عاصمة إقليم رافينا، تقع على بعد ٦٨ كيلو متر في الجنوب الشرقي من بولونيا Bologna و ٨ كيلو متر من البحر الادريتاكي Adriatic، وتتصل به بواسطة قناة، وهي مدينة تجارية زراعية، وغنية بالفنون البيزنطية.

راجع:- Moore, The penguin, p.647.

(٢) البريجادي، هو مجلس الشيوخ البندقي أو هو الهيئة التشريعية الرئيسية للبندقية، بدأ تكوينه بستين عضوًا مختارين من الرجال بواسطة هيئة مختصة بذلك، من مهامهم النقاش والتداول حول المراسيم المتعلقة بالضرائب والتجارة والسياسة الخارجية Lane, F.Ch., Venice, Amaritime Republic, The Johns Hophins University press, London, 1973, pp.96,254-256; Hazlitt, C.W., History of the Venetian Republic, her Rise, Greatness and her Civilization, IV Vols., London, 1860, Vol.I, pp.5-29.

(٣) الكوارانتا، هو مجلس الأربعين أو المحكمة العليا، هو واحد من أعلى الهيئات الدستورية في جمهورية البندقية، وعلى ما يبدو أنه قد تأسس في عام ١١٧٩م بانتخاب أربعين شخصًا يتم انتخابهم من قبل تسعة أشخاص من الجمعية الشعبية ومن أهم اختصاصاته هو انتخاب دوج البندقية Charles, D., laRepubblice di Venezia, ed. Compton, N., Rome, 2007; Hazlitt, History, Vol. I, pp.15-29.

(٤) Reynaldus, Ann. Ecc. Ad ann. 1324,1326, Tome XXIV, pp. 269,306-307.

المماليك في السلع التقليدية والحربية، غير أن السؤال الذي يطرح نفسه هو، هل استجابت البندقية لأوامر البابوية على المستوى الفردي مثلما استجابت على المستوى الرسمي؟ وللإجابة على هذا السؤال يجب الوضع في الاعتبار استمرار سياسة التهريب والوساطة التجارية التي قامت بها بعض البلدان بين الطرفين(١)، وما حدث من اضطرابات في الإسكندرية ١٣٢٧م، يشير إلى وجود عناصر أوربية بمن فيهم من البنادقة(٢) الذين شوهدوا في الإسكندرية فيما بين ١٣٣٩-١٣٤١ يمارسون نشاطهم التجاري، ويتمتعون بحريتهم الدينية ويمارسون طقوسهم وعبادتهم في الكنيسة(٣)، وهي الحقيقة التي أكدتها رسالة أحد التجار البنادقة تضمنت إشارات لهذه الحوادث(٤)؛ فضلًا عن قيام أحد التجار البنادقة بعدة رحلات إلى الإسكندرية وابتاع فيها الفلفل(٥)، وكذلك قيام تاجر آخر بشحن كميات كبيرة من السلع إلى حلب(٦)، وعلى أي حال سواء أكانت هذه الفئة من

---

(١) النموذج الصارخ على هذه الوساطة يتمثل في جزيرة قبرص وميناءها فاما جوستا واتصالها بالساحل الشامي. عن هذا راجع:

Makhairas, L., Recital Concerning the Sweet Land of Cyprus, ed. By Dawkins, 2 Vols., Oxford, 1932, Vol. ,p. ;

عزيز سوريال عطية، العلاقات بين الشرق والغرب تجارية – ثقافية – صليبية، ت. فيليب صابر، راجعه أحمد خاكي، ط ١، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ١٦٠-١٦١.

(٢) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٢، ق ١، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٧١، ص: ٢٨٤-٢٨٦؛ عفاف صبرة، العلاقات، صـ ١٠٧.

(٣) عادل زيتون، النشاط التجاري للجمهوريات الإيطالية، صـ ٢٠٢.

(٤) Ashtor, E., "Observation on Ventian Trade in the levant in the XIV the century", in East.West Trade in Medieval Mediterramean, ed. by.Kedar, B.Z., London, 1986, p.535.

(٥) كان الفلفل من المنتجات الطبيعية التي كانت الأسواق الأوروبية تطلبها بإلحاح وكان في الإسكندرية في ذلك الوقت شارع بأكمله أو بالأحرى حي مخصص لتجارة الفلفل. راجع:- عزيز سوريال عطية، العلاقات، صـ ١٧٣.

(٦) Housley, The Avignon, p. 207.

أما عن حلب فهي مدينة عظيمة واسعة، كثيرة الخيرات طيبة الهواء، ماؤها نقي، بها قلعة شهيرة شاهقة

التجار قد أتت بطريق مباشر أو غير مباشر، فإن العلاقات كانت مقطوعة رسميًا، ويبدو أن البندقية قد استعاضت عن الأسواق المملوكية بالإكثار من رحلاتها التجارية إلى أسواق البحر الأسود وميناء آياس LaJazzo[١] ومن المعروف أن الميناء الأخير كان يشكل نهاية طريق تجاري ربط الخليج الفارسي بالبحر المتوسط[٢].

فضلًا عن ذلك سعت البندقية لاستغلال جزيرة كريت Crete[٣] لتكون قاعدة هامة للتبادل التجاري بينهما وبين المماليك، وقد ذكر أحد المؤرخين المحدثين أنه حصل على عديد من الرسائل والعقود الموثقة يعود تاريخها إلى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي تحتوي على إشارات عن الرحلات التجارية بين كانديا Candia[٤] والإسكندرية ودمياط[١]؛ في الوقت الذي كانت فيه أياس

الإرتفاع، وهي مدينة جميلة، ويقال أنها سميت بحلب؛ لأن إبراهيم عليه السلام كان يحلب فيها غنمه في الجمعات ويتصدق بالحليب. للمزيد راجع: - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٧ أجزاء، تحقيق فريد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠، ج ٢، ص: ٣٢٤-٣٢٧؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٢٠٩-٢١٢؛بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين ،صـ ١٢١-١٢٢.

(١) آياس: مدينة بأرمنيا الصغرى، تقع عند مصب نهر جيجان في البحر المتوسط، وهي ميناء تجاري كبير مهم، يكثر به التجار القادمون من المدن الإيطالية خاصة؛ فضلًا عن أنها معبر إلى بلاد المشرق الإسلامي. للمزيد راجع:- ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ترجمها للإنجليزية وليم مارسدن، وترجمها للعربية عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١، القاهرة، ١٩٧٧، صـ ٢٨-٢٩ حاشية (٣).

(٣) كريت رابع كبرى الجزر في البحر المتوسط، فمساحتها ٨.٣٣١ كيلو مترًا مربعًا، وتقع في جنوب بحرايجة، وقد لعبت دورًا كبيرًا في تاريخ اليونان، ثم خضعت للرومان في عام ٦٧ ق.م، وللإمبراطورية الرومانية في عام ٣٩٥م، وللمسلمين عام ٨٢٦م، وللبنادقة في عام ١٢٠٤، والأتراك ١٦٦٩م، وأخيرًا دخلت في اتحاد مع بلاد اليونان في عام ١٩١٢م. راجع:- Moore, The penguin, p,205.

(٤) كانديا: أو الخندق،بناها على الساحل الشمالي لجزيرة كريت زعيم الأندلسين الذين غزوا الجزيرة،

وفاماجوستا نقطتا التقاء للتجار من الجانبين(٢)، فضلًا عن محاولات البندقية الإكثار من رحلاتها التجارية إلى أسواق تانا Tana(٣)، وعلى ما يبدو أن الأسواق الأخيرة لم تفِ البندقية حاجتها من السلع بالإضافة إلى الصعوبات التي لاقتها أثناء تجارتها مع تانا، فضلًا عن الظروف السياسة للبندقية نفسها في تلك الفترة(٤) التي ربما جعلتها تخسر كثيرًا نتيجة لتوقف تجارتها مع سلطنة المماليك تلك السلطنة التي نجحت في تحويل القاهرة إلى مركز ثقافي والإسكندرية ودمياط إلى مركزين مرموقين في النشاط الاقتصادي ليس للشرق وحده، ولكن للغرب الأوروبي أيضًا.

لذا ما لبثت البندقية أن أرسلت من قبلها سفيرين هما مارينو فالير MarinoFalier وأندريا لوارو Andria Lowaro إلى البابا كليمنت السادسClement VI(١٣٤٢-١٣٥٢م)(٥)للدفاع عن قضية البنادقة، الذين

وهو أبوحفص عمر بن شعيب، وجعلها حاضرة ملكه بعد استيلاء المسلمين على جزيرة كريت سنة٨٢٧م، ربما مكان مدينة يونانية قديمة هي Iraklion أو Herakleion،وهي كبرى مدن الجزيرة الآن و ميناء تجاري مهم. راجع-:

Moore, The penguin, p.375; Bury, Eastern Roman Empire,p.88.

(١) Ashtor, Observations, p.536.

(٢) Pilot, E., L Egypte au Commencement du Qeuinzie'meSiècle d'apre's la Traite' d'Emmannelpiloti de Cre'te, ed.by P.H.Doop. LeCaire, 1950, p. 54.

يذكر المؤرخ ماس لاترى أن تجار فاما جوستا كانوا يزودون سلطنة المماليك بالرقيق والأسلحة في أشد الفترات تحريمًا لهذه التجارة. راجع:.Mas-latrie, Histoire, Tome II, p. 126

(٣) تانا هو الاسم الذي عرفت به في العصور الوسطى مدينة آزق الموجودة الآن في روسيا، كانت بعد عام ١٣١٦ إحدى المستعمرات الخاصة بالبندقية حتى استولى عليها العثمانيون في ١٤٧٥م. راجع:- عفاف صبرة، العلاقات، صـ١٠٨ حاشية (٩٩).

(٤) هايد، تاريخ التجارة، ج٢، ص٢٧٦.

عن الظروف السياسية للبندقية في تلك الفترة راجع: - Hazlitt, History, Vol. II, pp. 394-464, Vol. III, pp. 1-90.

(٥)كليمنت السادس، هوالأبن الثانى لوليم روجرWilliamRoger، ولد ١٢٩١م، فى مقاطعة مايمونت Maumont، اهتم فى دراسته بعلم الأديان، حتى حصل على منحة من البابا يوحنا الثانى

كانت التجارة عماد حياتهم، وبدونها يحل بالبندقية الخراب والدمار، وطالبوا بشدة السماح لهم بالمتاجرة في الأسواق المصرية والشامية[١]، والواضح أنهم نجحوا في مساعهم، لقيام البابا بإصدار تصريح يتيح لهم المتاجرة مع البلاد الخاضعة للسطان المملوكي على أن يكون ذلك في السلع التقليدية دون الحربية[٢]، مما دفع أحد المؤرخين المحدثين إلى القول بأن نظام التراخيص الذي ابتدعته البابوية كان أهم وأخطر الثغرات التي أضعفت فاعلية سياسة البابوية تجاه سلطنة المماليك، ودفع الكثير من السلطات والأفراد لاستغلاله للاتجار مع المماليك[٣]، وعليه يتضح أنه حتى ذلك الوقت كان خرق سياسة البابوية المتشددة في منع التجارة مع سلطنة المماليك في أضيق الحدود ربما كان لأسباب سياسية[٤] وأخرى

والعشرين ١٣٢٣م، وبعد اتمام دراسته أصبح رئيساً لدير فيكامبFe'camp١٣٢٦م، ثم أسقف لآراسArras١٣٢٨م، ثم رئيساً لأساقفة سنس Sens ومن بعدها رئيساً لأساقفة رون Rouen١٣٣٠م، فضلا عن هذا وذاك عمل مستشاراً للملك الفرنسى فيليب السادس Philip VI(١٣٢٨-١٣٥٠م)، والبابا يوحنا الثانى والعشرين. راجع:- Kelly, The Oxford Dictionary, pp.219-221.

(١) Dipl. Ven.,ed. Thomas, Vol. I, no. 144, pp. 277-278, no. 162, pp. 306-307.

(٢) يذكر المؤرخ هايد أن البندقية في سبيل الحصول على التصريح لم تتورع عن توزيع هبات سخية على حاشية البابا. راجع:- هايد، تاريخ التجارة، ج٢، صـ ٢٧٦.

(٣) محمد الزامل، الحصار، صـ ٣٦.

(٤) لم يثبت بالوثائق أن تساهلت البابوية في منح الترخيص في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، والمرات القليلة التي خرقت سياستها كان لأسباب أهمها العمل على فداء الأسرى المسيحيين لدى القوى الإسلامية والمنوذج لذلك كان مملكة أراجون التي سمح لها بعلاقات دبلوماسية يصحبها تجار لاستخدام أرباح تلك التجارة لفداء الأسرى لدى السلطان المملوكي، أما السبب الآخر فكان للدعم المادي للتصدي للقوى المناهضة للبابوية سواء كانت سلطنة المماليك أم أعداد البابوية من المسيحيين، وهذا النموذج كثر في عهد البابا يوحنا الثاني والعشرين كان أهمها تصريح لبينتو زكرياBenitoZaccharia أمير البحر الجينوي في ٥ مارس ١٣٢٠م،١٣٢٨م، وكذلك حليفه هيو الرابع ملك قبرص. عن هذه التراخيص راجع: Reynaldus, Ann. Ecc.ann., 1236, Tome XXIV, no. 25, p.307;Housley, N., The Later Crusades (1274-1580), Oxford, 1992; J. Delaville le Roulx, les Hospitaliers, III; محمد

اقتصادية مثلما حصلت البندقية على ترخيص لتفادي حالة الخراب التي قد تصل إليها في تلك الفترة.

والواقع أنه باستثناء بعض الحالات التي منح فيها البابوات تراخيصًا، خارقين بذلك سياسة التشدد كانت محكمة أفينيون تبقى بشدة على منع الاتجار مع سلطنة المماليك، وكان لهذا الموقف ما يبرره، فقد كان يجري بهمة إعداد حملة صليبية لغزو الأراضي المقدسة، وكان من الضروري إضعاف أصحاب السلطة عليها –سلطنة المماليك– بقطع موارد قوته، وأسباب معيشته؛ غير أن البابوات بإصرارهم على استمرار تلك السياسة في حين كان الأمل في الحملة الصليبية يتضاءل شيئًا فشيئا، إلا أنهم استخفوا بالتغيرات التي حدثت بمرور الزمن ولم يعد الأمر من جانبهم سوى عناد وأنانية يستحقون عليها اللوم، الغرض منهما ببساطة إجبار الأمم التجارية على السعي لاكتساب الحظوة لديهم ببذل الهبات لخزائنهم أو لحاشيتهم(١).

والملفت للنظر أن تجارة البندقية –التي نجحت في الحصول على موافقة البابا– تركزت على مصر دون بلاد الشام(٢)، وذلك على الرغم من أن دمشق كانت مكتظة ببضائع الشرق الأقصى التي أتت إليها من البحر الأحمر، وكانت حلب مثل دمشق، حتى أنها كانت تسمى "الهند الصغيرة"، ومع ذلك كانت تجارتها محدودة(٣)؛ غير أنه في تلك الفترة ظهر بمصر والشام والعالم الوباء

الزامل، الحصار، ص٣٧-٣٨.

(١) هايد، تاريخ التجارة، ج٢، صـ ٢٧٧-٢٧٨.

(٢) بعد موافقة البابا أرسلت البندقية إلى السلطان الناصر محمد سفيرها نيقولًا زينو Nicola Zeno، لعقد معاهدة تجارية ١٣٤٤م، واتبعته بآخر يدعى أنجيليو سيربي AngelioSerbi، الذي عاد بخطاب إلى البندقية من السلطان؛يؤكد ما تم الاتفاق عليه. راجع:- المقريزي، السلوك، ج٢، صـ ٦٧٠-٦٧١؛ عفاف صبرة، العلاقات، صـ ١١٠.

(٣) Ashtor, E.,"A Social and Economic History of the Near East in the Middle Ages", London, 1976, p. 300;

الأسود Black Death[١] الذي تسبب في انعدام حركة التجارة الخارجية لأسباب منها انعدام الانتاج لقلة المحاصيل الزراعية لوفاة كثير من فلاحي الأرض في هذا الوباء، ولنقص العمال في الموانئ للسبب ذاته[٢]؛ بالإضافة إلى ضغط البابوية بتحريم التجارة مع سلطنة المماليك كل ذلك من شأنه توقف تجارة البندقية ليس هي وحدها، ولكن كل المدن التجارية الأوروبية مع مصر.

فضلًا عن ذلك كانت هناك مجموعة من المتغيرات بدأت تطفو على سطح التجارة الدولية كانت في غير صالح القوى التجارية الأوروبية، كان أهمها عودة أهمية البحر الأحمر كشريان آمن للتبادل التجاري بين الشرق والغرب بعد حالة الفوضى التي سادت دولة مغول فارس عقب وفاة الخان أبي سعيدAbu Said (١٣١٦-١٣٣٥م) في عام ١٣٣٥م[٣]، وأدت إلى توقف الحركة التجارية المارة بأراضيهم[٤]، مما كان سببًا في تداعي الحركة التجارية في ميناء آياس؛ فضلًا عن ضربات سلطنة المماليك المتلاحقة له، حتى تم لهم الاستيلاء عليه في عام

عفاف صبرة، العلاقات، ص١١١.

(١) عن الموت الأسود. راجع: The Black Death, Trans. and ed. Horrox R., Manchester and New York;- Emery, R.W., "The Black Death of 1348 in Perpignan", Speculum, Vol. XLII, no. 4, 1967, pp. 611-623; Bowsky, W., "The Impact of the Black Death Upon Sienese Government and Society" Speculum, Vol. XXXIX, 1964, pp. 1-34.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٢، صـ ٧٧٥-٧٨٣؛ عفاف صبرة، العلاقات، صـ ١١١.

(٣) أبو سعيد، هو ابن أولجايتو خان محمد بن أراغونUljayti Khan (١٣٠٥-١٣١٦م) ابن آباقا خان بن هولاكو ابن طولوي بن جنكيز خان، اعتلي عرش الخانية تحت وصاية الأمير سونج Song والأمير جوبان Ghaban، لصغر سنه في عام ١٣١٦م. للمزيد راجع:- اليوسفى، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق أحمد حطيط، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م، صـ ٣٣٤-٣٣٥.

(٤) Richard, J., Les Relation enter L Orient L Occident au Moyen Age, London, 1966, p. 302-305; Ashtor, Observations, pp. 551-552.

١٣٤٧م[١]، وعلاوة على ذلك فقد طرد التجار الإيطاليين من تانا في سنة ١٣٤٣م على يد جاني بيك GanyBeek خان القبيلة الذهبيةGolden Horde (١٣٤١-١٣٥٧م)[٢]، مما أدى إلى توقف حركة التجارة في تلك المدينة، في الوقت نفسه تعرضت مدينة كافا Caffa[٣] هي الأخرى للحصار الذي كان له عواقب وخيمة على الحركة التجارية بها[٤]، وفوق هذا وذاك التنافس الشديد بين المدن التجارية لكسب ود الإمبراطورية البيزنطية خاصة جنوا والبندقية[٥].

ونتيجة لكل هذه العوامل بدأت الضغوط تمارس على البابوية من قبل المدن التجارية من أجل فتح بابًا للتجارة يتمثل في سلطنة المماليك مرة أخرى، والتخلي عن سياسة التشدد في ذلك على الأقل في السع التقليدية، بإصدار مراسيم تكن

---

(١) للمزيد عن الصراع المملوكي الأرميني في هذه الفترة. رجع:- المؤلف المجهول، تاريخ سلاطين المماليك، نشر هزترستين، ليدن، ١٩١٩، ص:١٤٩؛ الشجاعي، تاريخ الملك الناصر، صـ ٨؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي تتمة المختصر، ٢ جزء، النجف، ١٩٦٩م، ج٢، صـ٤٤٥.

(٢) مغول القبيلة الذهبية –عرفوا بهذا الاسم نسبة إلى لون مخيمهم- هم المغول الذين استقروا في بلاد القفجاق Kypchak وحوض نهري الفلوجا Volga والدون Done بعدما فتحها سوبوتاي Sobtai وجيب Jebe في عام ١٢٢٢م، وبعد وفاة جنكيز خان Chingis Khan (١٢٠٦-١٢٢٧م) آلت هذه الأراضي إلى حفيده باطو بن جوجي Batu of Juchi(١٢٤٣-١٢٥٦م)، وعرفت سلالته باسم القبيلة الرزقاء، والثاني هو أوردا Orda الذي عرفت سلالته باسم القبيلة البيضاء WhiteHorde. للمزيد راجع:- ماركو بولو، رحلات، صـ٣٦١؛ صبري أبو الخير، قيام دولة مغول القفجاق في روسيا وسياستها الخارجية، رسالة دكتوراة غير منشورة كلية الآداب جامعة الزقازيق، ١٩٩٢م، صـ١-١٥.

(٣) كافا هي إحدى مدن حوض البحر الأسود –تقع الآن في أوكرانيا- سميت بهذا الاسم بعد إنشاء مؤسسة تجارية جنوية بها في القرن الثالث عشر الميلادي. راجع: عفاف صبرة، العلاقات، صـ ٢٠٠ حاشية (٧٥).

(٤) Lane, F.G., Venice, A Maritime Republic, Baltimore and London, 1973, p. 131;Ashtor, Observations, p. 538.

(٥) Ashtor, Observations, pp. 551-552; Hazlitt, History.Vol., pp. وعن علاقة البندقية بالامبراطورية البيزنطية راجع: Nicol, D.J., Byzantium and Venice: Astudy in Diplomatic and Cultural Relations, CambridgUniversity Press, 1999.

ترخيصًا لممارسة التجارة أو بمعنى آخر "السماح بارتكاب مخالفة"، وقد وافقت البابوية بإصدار تلك المراسيم مع السماح للمرخص له أن يدلي بقسمه أما الأسقف التابع له الميناء الذي سيبحر منه إلى سلطنة المماليك بخلو بضائعه من آية سلعة حربية، كذلك احتفظ البابا لنفسه بحق إلغاء كافة التراخيص سوء تلك التي أصدرها هو أو تلك التي صدرت في عهد أسلافه وقتما شاء وحيثما كان(١)، والواضح أن البابوية دُفعت دفعًا إلى إعطاء تلك المراسيم مع أواخر العقد الخامس من القرن الرابع عشر الميلادي نتيجة للمتغيرات السياسية والاقتصادية التي حدثت في نطاق حوض البحر المتوسط التي تم الإشارة إليها سلفًا.

والواقع أن البابوية لم تمارس منح التراخيص هذه إلا في نطاق ضيق حتى بدايات العقد الخامس، لتحقيق أهداف بعينها كان أهمها: العمل على فداء الأسرى المسيحيين لدى القوى الإسلامية –كما سبق الإشارة سلفًا– وتقديم الدعم المالي لحلفائها؛ فضلًا عن الجهود المبذولة من قبل السلطان المملوكي في تلك الفترة لتشجيع التجار الأوروبيين للحصول على تراخيص بالمتاجرة في بلاده؛ لذا أعلن عن دفع ثلاثة آلاف دينار لأي سفينة تتمكن من الحصول على موافقة البابوية(٢)، في الوقت نفسه ضاعت آمال البابوية في تجهير حملة صليبية لإعادة الكيان الصليبي(٣)، في الوقت الذي إزدادت فيه أعباءها المالية لدرجة أنها رأت

---

(١) Dipl. Ven. Lev., Vol.I, no. 144, p. 278, Vol. II, nos. 41,113,118,119, pp. 191,198-199; Reynaldus, Ann. Ecc. Adann., 1366, Tome XXVI, no. 16,p. 130; Setton. K.M., The papacy and the Levant (1204-1571), II Vols., Philadelphia, 1976, Vol.I, p.276. هكذا يتضح أنه لم يكن يكفي البابا أن المدن التجارية قد أدرجت في تشريعاتها حظر نقل السلع الحربية إلى سلطنة المماليك، بل فرض أيضًا رقابة صارمة من خلال السلطات الكنسية في كل مكان. راجع:- هايد، تاريخ التجارة، ج٢، صـ ٢٧٩.

(٢) Ashtor, Levant Trade, p. 38; Odena, "De Alexandrinis", p. 263.

(٣) Housley, The Avignon papacy, p. 209. عن السياسة الصليبية للبابوية في تلك الفترة. راجع: Reynaldus, Ann.Ecc. Tome XXV, ann. 1334,1335, no. 10,p.4, no.

في المبالغ المحصلة نظير منح هذه التراخيص فرصة لمواجهة تلك الأعباء[١]، وعليه قام البابا كليمنت السادس بإصدار مرسوم للبنادقة في السابع والعشرين من أبريل ١٣٤٤م، يسمح لهم بإرسال أربعة سفن شحن وستة غلايين[٢] كل خمس سنوات إلى سلطنة المماليك، ثم عاد ومنحها مرسومًا آخر في العاشر من أغسطس ١٣٤٥م، يمنحها الحق في إرسال سبعة غلايين بدلًا من كل أربع سفن شحن، ثم حصلت على ترخيص آخر في الخامس من مايو ١٣٦١م يمنحها الحق في إرسال رحلات تجارية إلى سلطنة المماليك على أن تشمل كل رحلة ستة غلايين، وفي المقابل قامت البندقية بدفع تسعة آلاف دوكات بندقيDucat[٣]لخزانة البابوية التي كانت في أمس الحاجة إلى هذه الأموال[٤]، ربما كان ذلك لدعم حملة بطرس لوزنيبان ملك قبرص الذي كان يجوب أوروبا في تلك الفترة داعيًا للحملة الصليبية على سلطنة المماليك.

28, p. 31; Delaville le Reulx, la Francc, Tome I, pp. 100-110; Atiya, The Crusade, pp. 110-125.

(١) عن هذه الأعباء. راجع:- Housley, The Italian,pp.174-190.

(٢) الغليون: يجمع على غلايين وغلاوين: وهو كلمة معربة عن الأسبانية Galeon وهو بالفرنسية Gallion وبالإنجليزية Galleon وبالإيطالية Galeonويخطئ من يترجم اللفظ الإنجليزي Galleys على أنه الغلايين والأشهر ترجمته شواني، وهو نوع من المراكب عالي الأطراف ضخم يمتاز بعظم المقدمة والمؤخرة، ويستعمل في النواحي الحربية ونقل المسافرين والتجارة. للمزيد راجع:- درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، الإسكندرية، ١٩٧٤م، صـ ١١٢-١١٣.

(٣) الدوكات هى عملة ذهبية خالصة تم صكها بناء على قرار من مجلس الشيوخ البندقى فى ٣١أكتوبر١٢٨٤. عنها راجع:-. عفاف صبرة، العلاقات، صـ ١٤٤-١٤٨.

(٤) Dipl. Ven. Lev., Vol.I, nos. 144,162,pp. 277-278, 306-307, Vol. II, nos. 41,42, pp. 73-76. ولحرص البندقية على تحقيق أكبر المكاسب التجارية أرسلت في العام نفسه ١٣٦١م سفيرها نيقولا كونتاريني NicolaContarini إلى السلطان لعقد معاهدة تجارية جديدة. راجع: Mas Latrie, "Traite des Paix et de Commerce, Documents Diveres, Paris, 1865, p. 93.

وعلى الرغم من أن البابوية قد سمحت بتلك التراخيص إلا أنها ظلت على حالها من التشدد حيال التجارة في السلع الحربية حتى ذلك الوقت، ويتضح ذلك من قيام البابا أنوسنت السادسInnocentVI(١٣٥٢-١٣٦٢م) [١]بإلغاء كافة التراخيص التي منحت للبنادقة فور علمه بقيامهم بتصدير السلع الحربية إلى سلطنة المماليك[٢]، ومن هذا وذاك يتضح أن لشخصية البابا القائم على سدة البابوية دور فعال في تطبيق سياسة التشدد حيال سلطنة المماليك أم لا، وكذلك اندفاع البنادقة إلى المتاجرة مع سلطنة المماليك بشكل كبير في تلك الفترة الأمر الذي جعلهم لا يعرون لقرارات البابوية أي اعتبار، وقاموا بالمتاجرة في السلع الحربية جنبًا إلى جنب مع السلع التقليدية المسموح بها وفقًا لمراسيم البابوات، وهناك أمر ثالث تمثل في تجدد فكرة الحملة الصليبية مرة أخرى في البلاط البابوي، مما أعطى إيحاء بالتشدد ضد سلطنة المماليك لعلهم بذلك يضعفون قواها القائمة بشكل كبير على القوة الاقتصادية وتجارة الرقيق.

وعلى ما يبدو أن البندقية قد نجحت في الحصول على ترخيصين من البابا أوربان الخامسUrban V(١٣٦٢-١٣٧٠م)[٣]في أقل من شهر، الأول في

---

(١)أنوسنت السادس، هو اتيان أيبرت EtienneAubert ، ولد فى عام ١٢٨٢م، فى مقاطعة مونتس Monts بالقرب من بامبادور Pampadour ، بدأ حياته العملية كأستاذٍ للقانون فى تولوز، ثم رئيساً لقضاة المدينة نفسها، ثم أسقف لنيون Noyon ١٣٣٨م، ثم كليرمونت Clermont ١٣٤٠م،ثم حصل على لقب الكاهن الرئيسى CardinalPries من قِبل صديق طفولته البابا كليمنت السادس، ثم أصبح كاردينالاً لمدينة أوستيا Ostia ١٣٥٢م. راجع:-

Kelly, The Oxford Dictionary, pp.221-223.

(٢) Dipl. Ven. Lev., Vol.II, no.50, pp. 55-56.

(٣)أوربان الخامس، هووليم دى جريمور GrimoardGuillaumede ، ولد فى عام ١٣١٠م، فى قلعة جريسكا Grisac من أسرة نبيلة، وبعدما أتم دراسته فى مونبيليه Montpellier وتولوز، أصبح راهباً بندكتياً فى دير القديس فيكتور St.Victor، وبعد حصوله على الدكتوراة ١٣٤٢م،عمل مدرسا لمبادى القانون فى مونبيله وأفينيون، ثم رئيساً لدير القديس جيرمان St.Germain ١٣٥٢م، ثم رئيسا لدير القديس فيكتور ١٣٦٢م،وفى أعوام ١٣٥٤،١٣٥٢،

٢٥ أغسطس ١٣٦٥، والثاني ٢٣ سبتمبر من العام نفسه؛ منحوا بمقتضاهما الحق في إرسال أربعة عشر غليونًا إلى موانى سلطنة المماليك(١)، وقام البابا نفسه في منتصف العام التالي ١٣٦٦م بمنح دوج البندقية ترخيصًا بإرسال أربعة سفن شحن وثمانية غلايين إلى موانئ سلطنة المماليك(٢)، والواضح أن البندقية كانت تمني نفسها باستمرار العلاقات التجارية مع سلطنة المماليك بعد رحيل حملة بطرس الأول ملك قبرص متناسية رد فعل السلطان المملوكي حيال اشتراكهم في الحملة الصليبية.

مما دفع المؤرخين من التعجب من أنهم يروا البنادقة الذين شاركوا بكل ثقلهم في هذه الحملة يرسلون في أبريل ١٣٦٦م رسلًا إلى السلطان المملوكي للتأكيد على أنهم بريئون مما حدث، وأن السفن التي أغارت على الإسكندرية لا تمت للبندقية بصلة، وأنهم لم يساعدوا بطرس ولم يشتركوا معه(٣)، في الوقت نفسه

١٣٦٠ ،١٣٦٢م،كان موفدا رسميا من قبل البابا لمناقشة بعض المسائل السياسية فى ايطاليا. راجع:-

Kelly, The Oxford Dictionary, pp.223-225.

(١) كانت البندقية حريصة على مصالحها الاقتصادية، فعلى الرغم من اشتراكها في حملة بطرس الأول ملك قبرص على الاسكندرية –دون علمها في البداية وجهة الحملة على حد تعبير المؤرخين-، ولكن حينما علمت بوجهة الحملة طلبت من الملك القبرصي تأجيل الحملة حتى نهاية أكتوبر، وطلبوا منه تعهداً على ذلك حتى تنتهي قافلتهم من حمل التجارة، ولكنهم اشتكوا بعد ذلك بأنه قد أغار على الاسكندرية قبل ذلك بثلاثة أسابيع من الاتفاق المبرم بينهم، وهذا يبرمشاعرهم التي كانت تفيض بالبهجة والسرور عند إقلاعالأسطول القبرصى عائدًا إلى الجزيرة. للمزيد راجع: Makhairas, Recital, p,155;Atiya, A.S., The Crusade, p. 352;Luke, S.H., "The kingdom of Cyprus" in Setton, Vol. III, p. 356.

(٢) Dipl. Ven. Lev., Vol.II, nos.62,63,67, pp. 105-107, 111-112.

(٣) سعيد عاشور، الحركة الصليبية،ج٢، صـ ١٢٠٦؛ عفاف صبرة، العلاقات، صـ ٧١.

يذكر أحد المؤرخين المحدثين أن الملك بطرس لم يعلن عن وجهة الحملة إلا في ٤ أكتوبر ١٣٦٥، وتعود هذه السرية التي أحاطت بهدف الحملة إلى ترك المسلمين في حال تخمين وفي قسم منها أيضًا إلى منع التجار الأوروبيين ذوي المصالح التجارية هناك من محاولة وقف الحملة أو إبلاغ المماليك. للمزيد راجع:- اديبوري، قبرص والحروب الصليبية، صـ ١٤٥.

يبعث لهم ملك قبرص برسالة شكر يصفهم بأنهم "أصدقاؤه الحميمون المقربون"(١)، وفي هذا دلالة على اشتراك البنادقة في حملة الإسكندرية وتدحض حجتهم عند السلطان المملوكي(٢)؛ لذا ما لبث السلطان المملوكي أن فقد الثقة في البندقية التي ما لبثت أن تسعى لعقد الصلح بين السلطان المملوكي وملك قبرص لكسب ثقة السلطان مرة أخرى(٣)حتى نجحت في ذلك في عام ١٣٧٠م(٤)، في الوقت نفسه راحت تطلب من البابا ترخيصًا بالمتاجرة مع سلطنة المماليك(٥)،

---

(١) يعلق أحد المؤرخين أن اشتراك البندقية جاء مشروطًا بأن تنقل ١٠٠٠ خيال و٢٠٠٠ جندي من المشاة إلى الشرق على أن يسهموا أولًا في القضاء على تمرد حكام كريت التابعين لهم هناك؛ للمزيد راجع: - إديبوري، قبرص والحروب الصليبية، صـ ١٤٣-١٤٤؛
Atiya,TheCrusade of the Fourteenth Century, p.18

(٢) عفاف صبرة، العلاقات، صـ ٧١.
أما جنوا فإنها كانت وقتئذ على خلاف مع الملك بطرس الأول ملك قبرص بدأ هذا الخلاف عام ١٣٦٤م، حينما اشتد النزاع في فاماجوستا حول معاقبة اثنين من البحارة الجنويين فرا من مركب قبرصى، وتحول إلى شغب عنيف هدد باندلاع حرب كبرى بين جوا وقبرص، غير أن هذا الخطر لم يزل إلا في أبريل ١٣٦٥م، حين وافقت قبرص على شروط جنوا. راجع:- إديبوري، قبرص والحروب الصليبية، صـ ١٤٤.

(٣)يعلق أحد المؤرخين المحدثين على اشتراك المدن التجارية في الحملة الصليبية على الإسكندرية بأنها –أي تلك الحملة- أظهرت مدى التوتر بين التجارة والحملة الصليبية، مما كان سببًا في فشل محاولات فرض الحصار التجاري على مصر، فقد كانت استجابة القوى التجارية الإيطالية المذعورة لهذه الأحداث، وعن طريق نشر الشائعات عن هدنة بين المماليك وقبرص نجحت البندقية في تدميرالآمال للقيام بحملة متابعة، وفي سنة ١٣٦٧م، كسبت البندقية توبيج البابا لرفضها نقل الصليبيين والخيول وموارد الحرب إلى الشرق. راجع:- هوسلي، الحركة الصليبية (١٢٧٤-١٧٠٠م)، صـ ١٦٦.

(٤) ذكر المؤرخ ماخيراس أن سفير جنوا غازان سيجولا GassanCigola صاحب سفير البندقية نيقولا جستنيانيNicolaGustiniani، في رحلة الوساطة لعقد الصلح بين سلطنة المماليك ومملكة قبرص، وكان معهم مقدم الاسبتارية في رودس، ونجح هؤلاء جميعًا في وضع أسس لسلام دائم بين السلطان المملوكي ومملكة قبرص. للمزيد عن هذا راجع:
Makhairas, Recital, p. 207-297.

(٥) الظاهر أن البنادقة اعتقدوا أن الصلح وشيك حتى أنهم أقنعوا البابا بإصدار إجازات جديدة لهم للاتجار مع سلطنة المماليك، في الوقت نفسه أرسل بطرس مندوبه للبابا لتوضيح آخر

فأعطيت إياه في الثالث من سبتمبر ١٣٧٠م، يعطيها الحق في المتاجرة مع المماليك لمدة سنتين شريطة ألا يسري هذا الترخيص إلا بعد إتمام الصلح بين السلطان وملك قبرص(١).

وسار البابا جريجوري الحادي عشر(٢) على نهج سلفيه في إغداق التراخيص على البنادقة، فقد حصلت على ترخيصبإرسال عشرة سفن شحن وأربع وعشرين غليونًا إلى موانئ سلطنة المماليك في الثاني من يوليو ١٣٧٢م، وفي الثامن عشر من أكتوبر ١٣٧٤م، حصلوا على ترخيص آخر بإرسال سفينتين من كريت إلى موانى مصر والشام كلما أرادت لمدة ثلاث سنوات، ثم قام بتمديد هذا الترخيص في ٢٦ يوليو ١٣٧٧م لمدة ثلاث سنوات أخرى مع السماح لهم هذه المرة بزيادة عدد الغلايين إلى ثمانية وتسعة سفن شحن توجه إلى الإسكندرية مباشرة(٣)، ولم يكن البابا أوربان السادسUrban VI(١٣٧٨-١٣٨٩م)(٤)بأقل

الاستعدادات لحملة جديدة، ويحتاج للدعم المالي والعسكري، عند ذاك سحب البابا إجازات التجارة التي كان قد منحها للبنادقة،وردت البندقية على ذلك بمنع رعاياها من الإسهام في حملة بطرس وبحظر تصدير الأسلحة والجياد إلى قبرص، ثم رتبوا للتواصل مع سلطنة المماليك. راجع:

Reynaldus, Ann.Ecc. ad.ann. 1366, Tome.XXVI, no. 16, p.130; Setton, The papacy, Vol.I, p. 276;إديبوري، قبرص،ص:١٤٨.

(١) Dipl. Ven. Lev., Vol.II, no.90,p. 157.

(٢)جريجورى الحادى عشر، هو ابنا لوليم بيفورت BeaufortGuillaumede، ولد فى ١٣٢٩م،فى قلعة ميامونت Maumont، بالقرب من ليموجس Limogs، وفى سن الحادية عشر فقط كان كاهناً مرتلاً لرودز Rodez وباريس **Paris**، وفى التاسعة عشر من عمره حصل على لقب كبير الشماسين من البابا كليمنت السادس، الذى أرسله إلى جامعة بريجيا Perugia حيث تلقى تعليما شاملا فى القانون أهله ليكون مندوب البابا فى مهام رسمية فيما بين ١٣٦٧-١٣٧٠م. راجع:-Kelly, TheOxford Dictionary, pp.225-227.

(٣)Dipl. Ven. Lev., Vol.II, no.96,99,102,pp. 161-162,167-168,174-175;محمد الزامل، الحصار، صـ ٤٠-٤١.

(٤)أوربان السادس، لا يعرف عن طفولته الكثير،غير أنه ولد فى عام ١٣١٨م،فى نابولى، وبعدما تلقى قسطاً من التعليم ،أصبح أسقفاً لأكرنزا Acerenza ١٣٦٣م،ثم لبيرBari ١٣٧٧م، وعمل فترة طويلة كقائد لمجموعة فى أفينيون. راجع:-

سخاء من أسلافه فيما يتعلق بمنح التراخيص، فمنح البندقية ثلاثة تراخيص متتالية في ١٣٨٤م و ١٣٨٥م و ١٣٨٦م مدة الترخيص عاماً واحداً مع السماح لهم بإرسال أي عدد من السفن إلى موانئ سلطنة المماليك، ثم منحهم تصريحًا ١٣٨٧ لمدة عامين ينطوي على الامتيازات السابقة(١)، أما البابا بونيفاس التاسعBoniface IX(١٣٨٩-١٤٠٤م) (٢) لم يفرط في منح التراخيص فقط، وإنما فرط أيضًا في شروط إمتيازاتها، لدرجة أنه أصدر للبنادقة ترخيصًا في عام ١٣٩٠م يسمح لهم بالتبادل التجاري مع سلطنة المماليك دون قيد أو شرط لمدة عشر سنوات(٣)، ثم جدده لهم في عام ١٣٩٩م، ولكن هذه المرة لمدة خمسة وعشرين عامًا مقابل دفع البندقية ثلاثة آلاف دوكات(٤) في وقت كانت تعاني فيه البابوية من الضعف السياسي والأزمات المالية الحادة(٥).

وعليه يتضح أن البندقية التي نجحت في الحصول على التراخيص من البابوات بانتظام تقريبي من عام إلى عام، وأحيانًا أخرى كانوا يحصلون على عدة رخص في عامٍ واحد، قد بذلوا قصارى جهدهم ليستفيدوا منها بالكامل، وكانوا يجتهدون بإخلاص في ألا يتجاوزوا العدد المرخص لهم من السفن؛ فضلًا عن نجاحهم في المحافظة على علاقاتهم الطيبة مع سلطنة المماليك، ورغم ذلك

Kelly, The Oxford Dictionary, pp.227-228.

(١) Dipl. Ven. Lev., Vol.II, no. 113,118,119,125,pp.190,197-199,210-211.

(٢) بونيفاس التاسع، هو بيترو توماسل PietroTomacell من أسرة أرستقراطية، ولد فى نابولى ١٣٥٠م، ولا يعرف عن طفولته الكثير غير أنها شبيهة بطفولة أوربان السادس، حصل على منصب كبير شماسى القديس جريجيوSt.Giorgio١٣٨١م، ثم حصل على لقب الكاهن الرئيسى ١٣٨٥م. راجع:- Kelly, The OxfordDictionary, pp.230-232.

(٣) محمد الزامل، الحصار، صـ٤١.; Dipl. Ven. Lev., Vol.II, no.133,p. 222

(٤) Ashtor, Levent Trade, p.109.

(٥) Housley, The Avignon papacy, p.212.

حينما كانوا يرتكبون مخالفة لسياسة البابوية كان في الحال يقوم البابا بسحب الترخيص مثلما فعل البابا أنوسنت السادس في ١٣٥٩م.

بيد أن حصول البنادقة على النصيب الأكبر من الإجازات التجارية التي أصدرتها البابوية لا يعني أن بقية المدن التجارية الأوروبية لم تحصل على شيء، فالبنسبة لجنوا، فقد فضلت في ظل سياسة التشدد التي فرضتها البابوية على التجارة مع سلطنة المماليك إلى البحث عن أسواق جديدة على الطرق الشمالية عبر مدينتي كافا وتانا مع احتفاظهم بمنشآتهم في الإسكندرية، غير أنهم أهملوا معاهدتهم التجارية مع سلطنة المماليك، حتى سقطت بمضى الوقت دون أن يحاولوا تجديدها، ومع ذلك كانوا يطلبون دائمًا من البابا من حين إلى آخر إعطائهم ترخيصًا للتجارة مع موانئ تابعة لسلطان المماليك(١)، ومع نهاية العقد الخامس من القرن الرابع عشر الميلادي طلبوا من البابا كليمنت السادس أن يعوضهم عن النفقات التي تحملوها في سبيل الدفاع عن كافا ضد المغول ١٢٤٦م، فمنحهم ترخيصًا بالاتجار مع سلطنة المماليك(٢).

أما مملكة أراجون فقد سمحت لها البابوية منذ عام ١٣٣٨م، بالمتاجرة مع سلطنة المماليك، فاستغلوا الفرصة وحصلوا من السلطان المملوكي بخصوص الرسوم الجمركية على المعاملة نفسها التي يتمتع بها الجنوية، والبنادقة، وفي منتصف القرن الرابع عشر نجحوا في خفض الرسوم بالنسبة إليهم وإلى القطالونيين من ١٥% إلى ١٠%(٣)، أما راجوزة Ragusa(٤)، فقد حصلت على

(١) هايد، تاريخ التجارة، ج ٢، صـ ٢٨٠-٢٨١.

(٢) هايد، تاريخ التجارة، ج٢، صـ ٢٨١.

(٣) هايد، تاريخ التجارة، ج٢، صـ ٢٨١.

(٤) راجوزة، هي مدينة دوبروفينك Dubrovink التي تقع على الساحل الجنوبي للبحر الأدرياتيكي ، وقد خضعت هذه المدينة للحكم البيزنطي حتى القرن الثاني عشر الميلادي، وفي الفترة من ١٢٠٥ إلى ١٣٥٨م اعترفت بالسيادة البندقية، وكانت من بين أهم المدن الأوروبية التي لعبت دورًا كبيرًا

مجموعة من التراخيص بعد وساطة ملوك المجر Hungary في أعوام ١٣٧١ أو ١٣٧٣م تسمح لهم بممارسة التجارة مع سلطنة المماليك حينما تعرضت تجارتها لأزمات قوية في بلاد البلقان Balkan(١)، والراجح أنهم استفادوا على قدر المستطاع من هذه التراخيص.

ولم تكتف البابوية في التخلي عن سياسة التشدد تجاه سلطنة المماليك لصالح المدن التجارية فقط، بل تعدت في الأمر، فشمل الأفراد سواء كانوا تجاراً أو حلفاء أو أصدقاء، فمثل هذه التراخيص كانت تمنح كمكافأة أو منحة غير مكلفة لخزينة البابوية، فتحولت بمرور الوقت كسلعة تجارية مربحة لأصحابها وتتناقلها الأيدي بالبيع والشراء(٢)، فعلى سبيل المثال منح البابا كليمنت السادس ابن أخيه وليم روجير الثالث William Roger III كونت بوفور Beaufort فيكونت تورين Tauraine(٣)، –وهو من أكثر ملاك جنوب فرنسا ثراء–واليانور دي كومانج

في التجارة الدولية؛ لأنها تقع على البحر عند نهاية الطريق التجاري البري الذي ربط الدولة البيزنطية بمنطقة الدانوب، كما كان لهذه المدينة دورٌ كبيرٌ في حركة التجارة في جزر البلقان. راجع:- محمد الزامل، دور القوى، صـ ٤١، حاشية (٧).

(١) عن راجوزة ونشاطها التجاري راجع: Krekic, B., Dubrovnik (Raguse) et Le Levant au Moyen age, -Paris, 1961, pp.298-300; Krekic,B., Dubrovnik in the 14 the and 15th Centuries, A City between East and West, 1972, pp.42-55. وللمؤلف مجموعة من المقالات بغت واحد وعشرين مقالة اختصت جميعها براجوزة وأعاد نشرها فى كتاب يحل اسم: Krekic, B., Dubrovnik,Italy and the Balkans in the late Middle Ages, London, 1980.

أما عن شبه جزيرة البلقان، فهي منطقة واسعة في جنوب شرق أوروبا، تقع بين البحر الأدرياتيكي والبحر الأيوني Ionianغربًا وبحر ايجه والبحر الأسود من الشرق، ومنحدرة تجاه أنهار الدانوبDanube وتضم: (اليونان، والجزء الأوروبى من تركيا ، وألبانيا وبلغاريا ومعظم الأراضى اليوجوسلافيةYugoslavia)، وبعد سقوط الإمبراطورية البيزنطية خضعت للسيادة العثمانية.راجع:- Moore, The Penguin,p.74.

(٢) هايد، تاريخ التجارة، ج ٢، صـ ٤٢٧٨. Housley, The Avignon,p p.210-211.

(٣) تورين مدينة فرنسية، كانت قديمًا إقليمًا يشغل الآن جزءًا من إقليم أندر آت – لوار –Indre–et–

Eleinor de Comminges زوجته،إجازة بالمتاجرة مع سلطنة المماليك، فما لبث وليم أن منحه لأحد أتباعه يسمى ستيفانوس دي باتوتو Stephanous de Batotoنظير قيامه ببعض الخدمات –بعدما أذن البابا بذلك–، فقام هذا الرجل ببيعه لدوج البندقية بمبلغ ١٢.٠٠٠ دوكات تدفع على أقساط(١)،فضلًا عن ذلك قام البابا أنوسنت السادس بمنح شخص يدعى جيراردودي دوستيشيللو دي دييه، فقام بالتنازل عنها لبعض الجنويين(٢)، وعلى ما يبدو أنها كانت بأربع سفن لقيام سكرتير دوج البندقية بدفع مبلغ ١٠٠٠ دوكات نظير نصفها الخاص بسفينتين(٣)، وقام البابا نفسه في عام ١٣٥٩م، بتعيين الفلورنسي الاسبتاري نيقولا بنديتو NicolasBendetti قائدًا لمدينة سميرناSmyrna(٤)، وقام بمنحه ترخيصًا بإرسال سفينة واحدة أو اثنين إلى الإسكندرية بشكل متكرر بغية توفير الأموال اللازمة للانفاق على تحصين المدينة والدفاع عنها(٥)؛ فضلًا عن عديد من التراخيص التي حصل عليها بعض تجار راجوزه إما من البابوية مباشرة أو عن طريق الشراء من بعض الأفراد(٦)، وعليه يتضح أن الحركة التجارية في السلع

---

loire، عاصمتها مدينة تورز Tours، ويصب فيها نهر اللوار Loire راجع:- Moore, The penguin, p.791.

(١) Setton, The papacy, Vol. I, p.263.

(٢) هايد، تاريخ التجارة، ج ٢، صـ ٢٧٨.

(٣) هايد، تارخ التجارة، ج ٢، صـ ٢٧٨. ;Housley, The Avignon, p.210

(٤) سميرنا: مدينة تركية وهي أزمير Izmir حاليًا، وهي ثالث كبرى المدن التركية وتقع على خليج أزمير Gulf of Izmir –أحد خلجان بحرايجه- وكانت عاصمة لإقليم أزمير بناها اليونانيون ثم استولى عليها الرومان وخضعت للسيادة المسيحية ثم استولى عليها الأتراك منذ عام ١٤٢٤م وفقدوها عام ١٩١٩م ثم عادت للسيادة التركية من عام ١٩٢٣م وهي الآن ميناء تجاري مهم. راجع:- Moore, The pengune, p. 779.

(٥) Luttrel, A., The Hospitallers at Rhodes: 1306-1421, in Setton, Vol. III, p. 297., reprinted, in luttrell, A. The Hospitallers, no. I.

(٦) Krekic, Dubrovink (Raguse), nos. 318,323,332,388,579, pp. 216-218,

التقليدية قد شهدت رواجًا على يد البابوية نفسها بسبب نظام التراخيص وتقلصت بذلك سياستها في فرض الحظر التجاري الشامل على سلطنة المماليك[١]ليصبح حظر جزئيًا أبقته البابوية على السلع الحربية، فكان بندًا ثابتًا بأن يحق للمرخص المتاجرة في كل شيء باستثناء السلع الحربية[٢]، ورغم ذلك استمر التجار الأوروبيين في حمل السلع الحربية والأخشاب والرقيق إلى سلطنة المماليك[٣].

ها قد انقضى الحديث عن سياسة البابوية تجاه سلطنة المماليك بين التشدد والتفريط، الذى تمخض عن مجموعة من النتائج، أبرزها ردة الفعل القوية للبابوية تجاة استرداد سلطنة المماليك لآخر معاقل الصليبين –عكا– فى بلاد الشام، حينما استدعت المشورة من المقربين منها – ممن لهم دراية بإمور الشرق– الذين لم يترددوا فى إبدائها، فكثير منهم بنى آراءه على العامل الإقتصادى وأهميتة فى قوة سلطنة المماليك، فنادوا بحرمان المماليك من هذا المقوم بالتشدد فى فرض حظر على الصادرات والورادات منهم وإليهم، مطالبين البابوية وكذلك المدن التجارية التوقف عن العلاقات التجارية لتحقيق الهدف المنشودألا وهو إضعاف تلك القوى الإسلامية الممثلة فى سلطنة المماليك.

وأوضحت الدراسة تبنى البابوات – خاصة فى بدايات القرن الرابع عشر الميلادى– لتلك الآراء محاولةً تنفيذ سياسة مشددة وحازمة ضد كل من تسول له نفسه اختراق هذا الحظرالتجارى المفروض من قبلها ضد سلطنة المماليك، بداية من عهد البابا نيقولا الرابع حتى عهد البابا يوحنا الثانى والعشرين، وهو البابا الذى وصلت فى عهده سياسة التشدد إلى الذروة، حيث نجحت السلطة البابوية

258-259; Dubrovin the 14 th, p. 43.

(١) محمد الزامل، الحصار، ص: ٤٢.

(٢) Ashtor, Observations, pp. 575-576.

(٣) Mas – latrie, Histoire, Tome. II, p. 126.

فى تقييد الحركة التجارية للمدن التجارية الأوربية، التى تربطها مصالح تجارية بسلطنة المماليك، وكذلك فتح أسواق تجارية أخرى لسد ما يسمى بالعجز التجارى لتلك المدن ، بإيجاد أسواق أخرى لجلب السلع الشرقية وحرمان سلطنة المماليك من عائدات هذه السلع، فضلاً عن حرمانها من مقومات القوة العسكرية الممثلة فى السلع الحربية التى مثلت الجانب الأكبر فى سياسة التشدد من قبل البابوية.

وأظهرت الدراسة كيف حاولت النقاط الصليبية- قبرص وأرمينيا- فى الشرق الإستفادة من سياسة التشد وبالأخص قبرص التى حاولت أن تصبح بديلاً كفء للسوق المملوكية الإسكندرية ودمياط؛ لذا شجع ملوكهاالبابوية على تنفيذ تلك السياسة وسعوا لذلك سعياً مما خلق لهم عدوات مع المدن التجارية فى الساحل الأوروبى الجنوبى، تلك العداوة التى كانت كفيلة لخلق صراع سياسي استمر لأعوام كانت أطرافه قبرص ورودس والمدن التجارية فى حوض البحر المتوسط.

وأخلصت الدراسةأن سياسة التشدد ارتبطت بعدة عوامل، أهمها شخصية البابا الجالس على سدة البابوية وكذلك الظروف السياسة فى حوض البحر المتوسط، فضلا عن السياسة الصليبية والمالية للبابوية؛ لذا مالبث أن شاب سياسة التشدد فترات تساهلت فيها البابوية وسمحت بالمتاجرة فأفرطت فى منح التراخيص بالمتاجرة مع سلطنة المماليك وإن قيدتها فى البداية لكن مالبثت أن توسعت فيها فكانت بذلك متأرجحة بين التشدد والتفريط وكان للمدن التجارية دور كبير فى هذا التأرجح فإستفادت منه بشكل كبير.

ولم يكن لسياسة التشدد تأثير قوى على سلطنة المماليك لنجاحها فى إيجاد طرق وأماكن لجلب احتياجتها الحربية وكذلك تصريف منتجاتها الشرقية عير أن تلك السياسة من قبل البابوية كانت عنوانا للصراع الإسلامى الصليبيى منذ استرداد المماليك عكا وطيلة القرنين التاليين الرابع عشر والخامس عشرالميلاديين، غير أن النصف الأوّل من القرن الرابع عشر هو الذى شهد قوة وعنفوان تلك السياسة.

بيانالمختصراتالواردةفيالبحث

AEM: Anuario de EstudiosMedievales .

- BBDTSOF: Bio BibliograficalDella Terra Santaedell'OrientFrancescano.

BEFAR: Bibliothèque des Écolesfrançaisesd'Athènes et de Rome

- no.: Number .
- nos .: Numbers
- not.: Footnote

PPTS:Palestin Pilgrims' Text Society, VI Vols., London, 1888 - 1897.

- RHC. Doc. Arm.: Recueil des Historiens des Croisades Documents .
- RHSEE: Revue Historique du Sud Est Europeen .
- Setton: Setton , K.M. , A History of the Crusades .

أولا المصادر الأجنبية:-

Baluzius,S., Vitae paparumAvenionensium, Hoc EstHistoriapontificum, Romanorum qui in Gallia SederuntAb Anno Christi MCCCV U sque ad Annum MCCCIV,ed. Mollat.G., IV Tomes ,Paris ,1921.

Benjamin of Tudela, The Travels of Benjamin of Tudela , ed. Thomas Wright, in Early Travels in Palestine, London, 1948.

اعتمد الباحث عليالترجمةالعربية لهذا المصدر تحت عنوان:

بنيامين التطيلي : الربي بنيامين بن يونه التطيلي النباري الأندلسي :

رحلة بنيامين التطيلي (١١٦٥-١١٧٣م / ٥٦١-٥٦٩هـ)، ترجمها عن الأصل العبري عزار حداد، تقديم عباس العزاوي، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٤٥م .

Digard , G. & Others , (eds.),Les Registres de Boniface VIII, Recueil des Bulles de cepapePublieesOu analyses d après les ManuscritsOrigaux de Archives de Vatican, IV Tomes, **BEFAR**, 2e Serie, Paris,1884-1939.

Fidenzio de Padua, Liber Recuperationis Terrae Sanctae,ed. Golubovich , G. , in B. D. T. S. O. F., V Vols., Florence , 1906 – 1927.

Gottron , A.,(ed.), Ramon Lulls Kreuzzugsideen , Berlin , 1912.

Hayton ,FlosHistoriarum Terre Orientis, dans**R.H.C.,** Tome II , **H.Doc- Arm.**, Paris , 1906 .

Grand, Ch. J.,***ed.,*** *Les Registres des Benoit XI, Recueil des Bulles de cepapepubleesouanalyseeedapres les Manus critsOri*ginaux des Archives du Vatican, **BEFAR,** 2. Serie, Paris, 1905.

Guillelmus Adam , De Mode SarracenosExtipandi , Dans. **R.H.C. Arm.,** Tome II ,Paris , 1906, pp.518-652.

Horrox, R., Trans. and ed.,The Black Death, Manchester and New York,**Housley, N., ed. and Trans. ,**Documents on the Later Crusades 1274-1580 , London , 1996.

Humbert de Romans , Opus Tripartitum , In Brown , Appendix ad Fasciculumrerum , Expetendarun et Fugiendarum , London , 1690.

Langlois , E. , (ed.),Les Registres de Nicolas IV, Recueil des Bulles de cePapa PublieeOuAnalyses Dapres les ManuscritsGrignaux des Archives du Vatican, **BEFAR**, 2serie, Paris, 1886.

Madre, A., Trans. & ed., RaimundiLulli Opera Latina, Turnholt, 1981.

Makhairas, L., Recital Concerning the Sweet Land of Cyprus, ed. By Dawkins, 2 Vols., Oxford, 1932.

Marco Polo, The Travels of Marco Polo(The Venetian),Revised from Mardsen's, Trans.by Manuel Komroff,New York,1930**.**

اعتمد الباحث عليالترجمةالعربية لهذا المصدر تحت عنوان:

ماركو بولو **:**رحلاتماركو بولو، ترجمها للإنجليزية وليم مارسدن وترجمها إلى العربية عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م .

Marino Sanudo ,Secrts for True Crusaders to help them to - Recover the Holy Land , Trans. By.Stewart ,**P.P.T.S.** , London,1896.اعتمد الباحث عليالترجمةالعربية لهذا المصدر تحت عنوان:-

مارينوسانودو ،كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة والحفاظ عليها ، اعداد ومراجعة بلليغرينور ونكاليه وسمير الخادم ، نقله إلي العربية الأب سليم رزق الله، مؤسسة دار الريحاني ، طـ١ ، القاهرة ، ١٩٩١م .

Mollat , G.,(ed.),Archives Biographiques Francaises,

Pilot, E., L Egypte au Commencement du Qeuinzie'me Siècle d'apre's la Traite' d' Emmannelpiloti de Cre'te, ed.by P.H. Doop. Le Caire, 1950.

Primat, Chronique de Primat, traduite par Jean du Vignay, **RHGF**, Tome XXIII, pp.1-106.

RegestumClementispapae V ex VaticanisArchetypis.Cvraet studio MonachorumOrdinis S.Benedicti. 8 Tomes, Rome, 1884-1892,

Reynaldus,Annales Ecclesiastic, Denuoet Accurate Excusi, XXVII Tomes, Paris, 1880.

Schroeder , H.J.,(ed.) Disciolinary Decrees of the General Councils , Text ,Translation and commentary , London , 1937.

Thomas,G.M.andPredelli,R.,(ed.),Diplomatarium Veneto-LevantinumSiveActaDiplomate res VenetasGraecosAtqueLevantisLllustrantia A.1300-1454, 2Vols., Venice,1880-1899.

Villani,G.,Villanis Chronicle Being Selections From the First Nine Books of the Chronicle Fiorentine of Giovanni Villani, trans. E. Rose, London, 1906.

William of Tyer , A History of Deeds Done Beyond the Sea , 2Vols. , Trans. By. Babcock and Krey ,New York , 1943.

اعتمد الباحث علي الترجمة العربية لهذا المصدر تحت عنوان:

وليم الصوري ، الحروب الصليبية (١٠٩٤-١١٨٤م) ، أربعة أجزاء ، ترجمة حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١ ، القاهرة، ١٩٩١م .

ثانيا المصادر العربية:-

- بيبرس الدواداري (ت. ١٣٢٤ م./ ٧٢٥هـ) ركن الدين بيبرس الخطائي المنصوري :زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ج٩ ، تحقيق زبيدة عطا، جده، د ت.

-ابن جبير (ت. ١٢١٧م / ٦١٤هـ) أبو الحسن محمد بن أحمد الأندلسي :

رحلة بن جبير، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٨م .
- **الشجاعي : شمس الدين :**تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده، القسم الأول " النص العربي"، حققته وترجمته إلى الألمانية برباره شيفر، فيسبادن، ١٩٧٨م .
- **القلقشندي (ت. ١٤١٨م / ٨٢١هـ) أبو العباس أحمد بن على بن أحمد عبد الله :**
صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤ جزء، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٦٣م .
- **مجهول المؤلف :**تاريخ سلاطين المماليك (٦٩٠-٧٤١هـ) قام على ترجمته ونشره المستشرق ك . ف . زترستين Zettersteen، ليدن، ١٩١٩م .
- **المقريزي (ت.٨٤٥هـ/١٤٤٢م) تقي الدين أحمد بن علي :**
السلوك لمعرفة دول الملوك، الأجزاء ١ – ٢ (٦ أقسام) تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٣٩م – ١٩٧٢م، الأجزاء ٣ – ٤ (٦ أقسام) تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٢ – ١٩٧٦م .
- **ابن الوردي (ت.١٣٤٨ م/ ٧٤٩هـ) زين الدين عمر بن مظفر :**
تاريخ ابن الوردي المعروف "بتتمة المختصر في أخبار البشر"، ٢ جزء، النجف ١٩٦٩م .
- **ياقوت الحموي (ت. ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) شهاب الدين أبو عبد الله الحموي :**
معجم البلدان، ٧ أجزاء، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م .
- **اليوسفي (ت. ٧٥٩هـ/١٣٥٨م) موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي :**
نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق أحمد حطيط، عالم الكتب، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٦م .

ثالثا المراجع الأجنبية:-

Alarcon, Y.S.M.A. and Garc, A. de Linares, R., Los DocumentosArabesDiplomaticosdelArchivo de Lacorona de Aragon, Madrid, 1940.

Allison , E.P., Ramon Lull , Biography , London , 1928.

Angeles, M.R., la Corona de Aragon ylosestadosdelnorte de Afric, Barcelona, 1951.

Ashtor, E., "A Social and Economic History of the Near East in the Middle Ages", London, 1976.

_____,Levant Trade in the leter Middle Ages, New Jersy, 1983.

_____,"Observation on Ventian Trade in the levant in the XIV the century", in East.West Trade in Medieval Mediterramean, ed. by.Kedar, B.Z., London, 1986.

-Atiya A.S , The Crusades in Fourteenth Century , in Setton , AHistory of the Crusades , Vol.III , pp. 3-26.

---------- , The Crusade in the Later Middle Ages , London , 1938.

---------- , Egypt and AragaonEmbassies and Diplomatic - Correspondence between 1300 and 1330 A.D., Leipzig , 1938 .

Baratier& Reynaud, Histoire du commerce de Marseille,IITomes,Paris,1951.

Boase, T. S. R., Boniface VIII , London , 1933.

Bowsky, W., "The Impact of the Black Death UponSienese Government and Society" Speculum, Vol. XXXIX, 1964.

Bratianu , le ConseilDuroi Charles , In R.H. S. E. E. , no. 19, 1942.

Brehier , L.,L'Eglise et L'Orient au Moyen Age , Paris , 1928.

Byrne, E. H.,Genooese Trade with Syria in the Twelfth Century, **AHR**, Vol.25, No.2, Jan 1920.

Charles, D., la Repubblice di Venezia, ed. Compton, N., Rome, 2007.

De Laville le Reulx,J. , La France en Orient au XIV e siècle. Expeditions du MarechalBoucicaut , II Tome , Paris , 1886.

_____, Les HospitaliersARhodes ,Jusqura La Mort de philibert de Naillac , 1310-1421 , Paris , 1913.

_____, les Hospitaliers a Rhodes (1310-1421), introduction by. Anthony Luttrell, London, 1974.

Emery, R.W., "The Black Death of 1348 in Perpignan", Speculum, Vol. XLII, no. 4, 1967,pp.611-623.

Grierson, P. &Travaini, L., Medieval European Coinage , Cambridge , 1998.

Hazlitt, C.W., History of the Venetian Republic, her Rise, Greatness and her Civilization, IV Vols., London, 1860.

Hillgarth ,J.N., Ramon Lull and Lullism in Fourteenth Century France , Oxford , 1971

Housley , N., The Avignon Papacy and the Crusades , Oxford , 1992.

---------- , The Itaian Crusades the papal Angevin Alliance and the Crusades against Christian lay powers 1254-1343,Oxford & New York,1982.

---------- , The later Crusades 1274-1580 from Lyons to Alcazar , Oxford ,1992.

Kelly. J. N.O., The Oxford Dictionary of Popes, Oxford, 1996 .

Krekic, B., Dubrovnik (Raguse) et Le Levant au Moyen age, -Paris, 1961.

----------, Dubrovnik in the 14 the and 15th Centuries, A City between East and West, Norman,1972,

----------, Dubrovnik,Italy and the Balkans in the late Middle Ages, London, 1980.

Kuhner ,H.,Encylopedia of the Papacy , London , 1959

Laiou, A., Marino SanudoTorsello, Byzantium and The Turks: The Back Ground to the Anti- Turkish League of 1332 – 1334, Speculum, Vol. 45, No. 3 Jul. 1970,pp.374-392.

Lane, F.G., Venice, A Maritime Republic, Baltimore and London, 1973.

Leopold , A. I. , How to Recover the Holy land , The Crusade Proposals of the Late Thirteen and early fourteenth

centuries , Burlington, 2000.

Luke, S.H.,"The Kingdom of Cyprus 1291-1369" in Setton, Vol. III, pp. 340-360.

Luttrel, A., The Hospitallers at Rhodes: 1306-1421, in Setton, Vol. III,pp. 278-313., reprinted, in luttrell, A. The Hospitallers, no. I.

_____, TheHospitallers in Cyprus, Rhodes, Greece and the West, London, 1978.

Mas Latrie,Historie de L'ile de Chypre Sous Leregne des Princes de La Maison, de Luslgnan, III Vols., Paris, 1855-1861.

_____, "Traite des Paix et de Commerce, DocumentsDiveres, Paris, 1865

Mollat, G., , Les papesd'Avignon 1305-1378 , Paris, 1982.

Moore , W.G.,The penguin Encyclopedia of places, New York, 1978.

Nicol, D.J., Byzantium and Venice: Astudy in Diplomatic and Cultural Relations, Cambridg University Press, 1999.

Odena,T., "De Alexandrinis" "EL Comercioprohibido con los Muslmanesyelpapado de Avinondurante la primeramitad del siglo XIV", in **AEM**, Vol.10,1980,pp.237-320.

Pryor, J.H., Geography, Technology, and War, Studies in the Maritime History of the Mediterranean (649-1571), Cambridge, 1992.

Ranciman, S., The Sicilian Vespers, Penguin Book, Cambridge University press, 1960.

Richard, J., Les Relation enter L Orient L Occident au Moyen Age, London, 1966.

_____, La Papaute et les Missions d'Orient au Moyen Age XIII – XVeSiecles , Paris , 1977.

Schein, S., Philip IV and the Crusade:a Reconsideration, in

Crusade and settlement, ed.by. Edbury,P.W., Univerisity College Cardiff Press, 1985.

Serban Marine, The Venetian Republic and Islam between Crusading Fervor and Realpolitik (9th–13th centuries)

Sirarpie Der Nersessian , The Kingdom of Glician Armenia , in Setton , Vol II, pp.630-666.

Setton. K.M., The papacy and the Levant (1204-1571), II Vols., Philadelphia, 1976.

Smith, J., The Knights Hospitaller in the Levant, c. 1070-1309, Palgrave Macmillan,2012.

Thomas,G.M.,Diplomatarium Veneto. LevantinumsiveActa et Diplomata res VenetasGraedosAtquelevantis Ill ustrantia A 1300-1454, 2 Vols., Venice, 1880-1899.

رابعا المراجع العربية:-

ادبيوري ، الشرق اللاتيني ١٢٩١-١٦٦٩م، ضمن تاريخ أكسفورد الحروب الصليبية، ٢ جزء، تحرير جوناثانرايليسميث، ت قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٩م.

_____، قبرص والحروب الصليبية، ترجمة دار الملتقى،ط١، دار الملتقى، بيروت، ١٩٩٧م .

إميلوسولا، البحر المتوسط المركز الحيوي للقرن الرابع عشر، ضمن كتاب ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات، ت. إسحاق عبيد، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧م.

جوزيف نسيم يوسف، علاقات مصر بالممالك التجارية الإيطالية في ضوء وثائق "صبحالأعشى" في كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، مؤسسة شباب الجامعة، ط ١، الإسكندرية، ١٩٨٣م.

حسين عطية، سفارات الأرمن إلى المغول وأثرها على العلاقات الأوروبية المغولية، بحث منشور ضمن كتاب دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.

درويش النخيلي،السفن الإسلامية على حروف المعجم، الإسكندرية، ١٩٧٤م.

د. ق. سبيريد أكسيس، موجز تاريخ قبرص، ترجمة يعقوب كامل، يني ذياكوفوتاكيسي، الإسكندرية، ١٩٧١م.

رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني،٣ أجزاء،ط١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧م.

زبيدة عطا، الترك في العصور الوسطى، القاهرة، د.ت

سامي سلطان ، الاسبتارية في رودس، رسالة دكتوراة غير منشورة كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٣م.

- **سعيد عبد الفتاح عاشور**، الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد الإسلامى،٢جزء،الأنجلو المصرية، ط٦، القاهرة،١٩٩٦م.

- ـــــــــــــــ، سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى، بحث منشور في كتاب : بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، بيروت، ١٩٧٧، صـ٢٢٥ - ٢٧٨ .

- ـــــــــــــــ، العصر المماليكي في مصر والشام، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٠م .

- ـــــــــــــــ، قبرص والحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط٢، القاهرة، ٢٠٠٢م .

-ـــــــــــــــ،كيف قاومت مصر الحصار الاقتصادى زمن الحروب الصليبية،بحث منشور فى مجلة الدراسات الإسلامية، العدد الثانى ، أكتوبر ١٩٦٩م، صـ١٢٦-١٣٧.

- ـــــــــــــــ،مصر في عصر دولة المماليك البحرية، القاهرة، ١٩٥٩م .

– **سونيا . ى . هاو،** في طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت، مراجعة محمد النحاس، القاهرة، ١٩٥٧م .

صبري أبو الخير، قيام دولة مغول القفجاق في روسيا وسياستها الخارجية، رسالة دكتوراة غير منشورة كلية الآداب جامعة الزقازيق، ١٩٩٢م

عادل زيتون،النشاط التجاري للجمهوريات الإيطالية

_____ ، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط ١، دمشق، ١٩٨٠.

عبد المنعم ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، ١٩٦٦م.

عزيز سوريال عطية، العلاقات بين الشرق والغرب تجارية – ثقافية – صليبية، ت. فيليب صابر، راجعه أحمد خاكي، ط ١، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٢م.

عفاف سيد صبره، العلاقات بين الشرق والغرب علاقة البندقية بمصر وبلاد الشام فيالفترة من ١١٠٠-١٤٠٠م، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٣م.

عمر كمال توفيق، مقدمات العدوان الصليبى "الإمبراطور يوحنا تزيمسكس وسياسته الشرقية ٩٦٩ – ٩٧٦م"، الإسكندرية، ١٩٦٦م.

عيدة جمعة مسعود،
مجمع فيين الكنسى ١٣١١-١٢١٤،رسالة دكتوراة غير منشورة كلية الآداب جامعة دمنهور،٢٠١١م.

فولفغانغ مولر. فيز،
القلاع أيام الجروب الصليبية، ت. محمد وليد الجلاد، مراجعة سعيد طيان، مركز الدراسات العسكرية، ط ١، دمشق، ١٩٨٢م.

ليلى عبد الجواد إسماعيل، علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك البحرية ٦٥٩-٧٨٤هـ/١٢٦١-١٢٨٣م، مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة، العدد (٤٦) عام ١٩٨٦م.

محمد الزامل،الحصار الاقتصادى على مصر أواخر العصور الوسطى ١٢٩١-١٥١٧م،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٩.

محمد متولى ومحمود أبو العلا، جغرافية شبة جزيرة العرب (جغرافيا اليمن الشمالي)، الجزء الثالث، مكتبة الأنجلو المصرية،ط٣، القاهرة، ١٩٨٨م.

محمود عمران،المغول والأوروبيون والصليبيون وقضية القدس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٥م.

نورمان هوسلى، الحركة الصليبية (١٢٧٤-١٧٠٠م)، فى تاريخ أكسفورد للحروب الصليبية، تحرير جوناثان ريلى سميث، ت.وتعليق قاسم عبده قاسم،٢ج،ط١، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩م.

هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطي، ٤أجزاء، ترجمة أحمد رضا، مراجعة عز الدين فوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٩١-١٩٩٤م.